دكتور/ عبد القادر سيد عبد الرؤوف

التربية الإسلامية
في
ضوء القرآن والسنة النبوية

الطبعة الأولى
١٩ من رمضان ١٤١٤ هـ — ١ من مارس ١٩٩٤ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر / القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين وبعد:

فإن الأمة لا توزن بميزان القوة والجبروت ، فتتبوأ مكان الصدارة بما تم لها من فتوحات ، وبما أحرزت من انتصارات ، وبما كسبت من رجال ، ولكنها توزن بما قامت عليه من أفكار ، وبما حوت من خلق رفيع ، وبما أحدثت من قيم ، وبما بلغت من سمو ورفعة .

وهذا هو سر الأمة الإسلامية ، وسر عظمة الإسلام ، حيث أنه رسالة تربية قبل أن يكون رسالة تشريع ، ورسالة خلق قبل أن يكون رسالة جهاد ، ورسالة سمو ورفعة وقيم ، قبل أن يكون رسالة كثرة واتساع .

لذلك إذا نظرنا إلى أول آية نزلت من كتاب الله سبحانه وتعالى، نجد المولى جل وعلا يقول مخاطبا حبيبه ﷺ: «إقرأ باسم ربك الذي خلق»[1]

ولم يقل إقرأ باسم الله ، وهذه إشارة واضحة ودلالة بينة على أن هذا الدستور الإلهى المنزل على سيد الخلق أجمعين ، محمد بن عبد الله ﷺ ، إنما هو دستور تربية لأنه ينزل باسم المربى الأعظم للبشرية جمعاء . الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، الذى يعلم الإنسان فى أى زمان مكان .

---

(١) العلق : ١

ولهذا كان الدين الإسلامى هو الدين الحق ، الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين ولم يرض لهم غيره من الأديان التى دخلها التحريف والتزييف قال جل فى علاه : « إن الدين عند الله الإسلام . . »[1] فالإسلام هو خير الأديان عموماً بل أفضلها على الاطلاق ،لأنه دين يسر وسهولة وهو دين الأنبياء جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليهم أجمعين .

من أجل ذلك حذر المولى عز وجل من اتباع غيره من الأديان حيث قال : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »[2] .

وكان رسولنا ﷺ خير الرسل أجمعين عند الله ، وذلك لما امتاز به من تربية رفيعة ، وأخلاق عظيمة ، وآداب عالية ، وهذا سر عظمته ومكانته الرفيعة عند الله جل فى علاه فقال فى حقه « وإنك لعلى خلق عظيم »[3].

وقال عن نفسه ﷺ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ، وقال أيضا صلوات الله وسلامه عليه « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »[4] ، فكانت الاخلاق ناقصة ، وجاء ﷺ كى يتممها ويكملها ببعثته الشريفة ، التى أشرقت على الدنيا بنورها الوضاح ، فالرسول ﷺ بعث ليتمم المكارم الاخلاقية ، إنه لم يبعث لينشر الاخلاق الكريمة فحسب ، إنما بعث ليتمم مكارمها ، وفى حق الامة الإسلامية قال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[5]..

---

(١) آل عمران من الآية : ١٩

(٢) آل عمران : ٨٥ (٣) القلم : ٤

(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٨١

(٥) آل عمران : ١٠٤

وقد تحقق ذلك فعلا ، حيث كانت الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس وهذا بنص القرآن الكريم .

قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...»[١] .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما اتصفت به هذه الأمة من سمو في الأخلاق والتربية والكرم والنبل والشجاعة والتعاون والإخاء والحب والإيثار والإخلاص . والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما هو إلا جانب من التربية العظيمة والأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة التي اتسمت بها هذه الأمة .

ومن أجل هذا حرص الرسول ﷺ وصحابته من بعده كل الحرص على تربيه الأمة الإسلامية تربية قرآنية ، وإقامة الدولة الإسلامية على أساس قرآني سليم .

يقول الدكتور أحمد فؤاد الأهواني :

فطن الرسول عليه السلام منذ أول ظهور الإسلام إلى أهمية التربية ، فوجه النظر إليها ، وأمر بتعليم القراءة والكتابة ، ولم يكد القرن الثاني الهجرى يطلع حتى كان ثمة جهاز تربوى متغلغل في كل ناحية من نواحي المجتمع الإسلامي][٢] .

وكتابنا — التربية الإسلامية في ضوء القرآن والسنة النبوية — يبين سبق الإسلام وتفوقه في التربية على كافة النظم والقوانين الوضعية ، لأن التربية الإسلامية من عند الله عز وجل خالق الإنسان والعليم بما

(١) آل عمران من الآية : ١١٠

(٢) التربية في الإسلام صـ ٨ .

يصلحه فى دينه ودنياه ، وفرق كبير بين الخالق ، الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ، وبين مخلوق لم يؤت من العلم إلا قليلا .

هذا ويشتمل الكتاب على مقدمة وأربعة فصول :

المقدمة تشتمل على :

— مفهوم التربية فى اللغة .

— « عند علماء الإسلام .

— معنى التربية .

— التربية الإسلامية .

الفصل الأول : مصادر التربية الإسلامية :

١ — القرآن الكريم .

٢ — السنة النبوية الشريفة .

الفصل الثانى : أساليب التربية الإسلامية :

١ — القدوة ٢ — الموعظة ٣ — القصة

٤ — الأوامر والنواهى .

الفصل الثالث : خصائص التربية الإسلامية .

١ — وحدانية المعبود .

٢ — التوازن ٣ — المساواة

الفصل الرابع : أهداف التربية الإسلامية :

١ — إخلاص العبودية لله عز وجل .

٢ — تهذيب السلوك الإنسانى .

٣ — تكوين الإنسان الصالح .

مفهوم التربية فى اللغة :

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولا لغوية ثلاثة :

الأصل الأول : ربا يربو بمعنى زاد ونما : وفى هذا المعنى نزل قول الله عز وجل : «وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله»[1] .

الأصل الثانى : ربى يربى على وزن خفى يخفى ، ومعناها : نشأ وترعرع وعلية قول ابن الأعرابى :

من يك سائلا عنى فإنى بمكة منزلى وبها ربيت

الأصل الثالث : رب يرب بوزن مدّ يمدّ بمعنى أصلحه ، وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه . رب الشىء يربه ربا : رباه ورعاه ليبلغه كماله[2] .

مفهوم التربيسة عند علماء الإسلام :

اشتق بعض الباحثين من الأصول اللغوية السابقة تعريفا للتربيسة قال الإمام البيضاوى فى تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل .

الرب فى الأصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشىء إلى كماله شيئاً فشيئا ، ثم وصف به تعالى للمبالغة[3] .

وفى كتاب مفردات الراغب الأصفهانى: الرب فى الأصل التربية فهو إنشاء الشىء حالا فحالا إلى حد التمام .

(١) الروم : ٣٩

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم إعداد مجمع اللغة العربية ج١ ص٤٤٤ مختار الصحاح للرازى ص٥٥٦ مادة : ربا .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ص ٣

وقد استنبط الأستاذ عبد الرحمن الباني من هذه الأصول اللغوية أن التربية تتكون من عناصر :

١ — المحافظة على فطرة الناشىء ورعايتها .

٢ — تنمية مواهب الناشىء واستعداداته كلها ، وهي كثيرة متنوعة .

٣ — توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب كلها نحو صلاحها وكمالها اللائق بها .

٤ — التدرج في هذه العملية ، وهو ما يشير إليه الإمام البيضاوي بقوله : شيئاً فشيئاً والراغب الأصفهاني بقوله : حالا فحالا .

ثم يستخلص مما سبق نتائج أساسية في فهم التربية :

(أ) أن التربية عملية هادفة ، لها أغراضها وأهدافها وغايتها .

(ب) أن المربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق ، خالق الفطرة ، وواهب المواهب ، وهو الذي سن سننا لنموها وتدرجها وتفاعلها كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها .

(جـ) أن التربية تقتضي خططاً متدرجة تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية وفق ترتيب منظم صاعد، ينتقل مع الناشىء من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة .

(د) أن عمل المربي تال وتابع لخلق الله وإيجاده ، كما أنه تابع لشرع الله ودينه[1] .

---

(١) أنظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها عبد الرحمن النحلاوي ص١٢ — ١٤ بتصرف .

معنى التربيـة :

التربية بالمعنى العام عملية تغيير بالنسبة لأخلاق الإنسان إلى ما هو أفضل ، فهى تشمل جميع العوامل التى تؤثر فى الإنسان وتغيره تدريجياً ، حتى يرتفع عن مستوى الحيوان ويصير إنساناً يفخر بإنسانيته ، كما أنها تشمل الوسائل التى توجهه نحو الغايات والمثـــل العليا التى فيها مصلحته ومصلحة المجتمع ، كما تشمل أيضا كل تنمية وتهذيب ينصب على قوى الإنسان وإستعداداته ونواحى سلوكه بقصد توجيهها ، ورفعها إلى المستوى اللائق بها ، فالتربية تعد الإنسان لأن يحيا حياة ذات قيمة له وللمجتمع ، حيـاة العزة والكرامة ، والخـــير والسعادة ، والحب والرفاهية .

يقول الأستاذ أحمد يوسف :

(التربية هى عملية تنمية للإنسان فى أسلم الأجواء ، تنمية بدنه ليشب سليما قوياً معافى بعيداً عن الأمراض والعلل ، وتنمية عقله وتفكيره ومستوى إدراكه حتى يشب صادق الحكم على الأشياء بعيد النظر ، ثم تهيئة المجال لتربية خلقه لكى يشب سليم الخلق حميد الصفات . وإذا كان أفراد المجتمع جميعاً ذوى صفات طيبة وخلق سليم كان هـــذا المجتمع فاضلا سليما . كذلك تعمل التربية على أن يشب الفرد سليمة نفسه بعيدة عن آثار الصراع النفسى حتى تجنبه ما ينشأ عن ذلك من أمراض نفسية قد يصعب شفاؤها أو يستحيل .

كما تعمل التربية على تغذية وجدانات الناشئين ليرق شعورهم ويدق إحساسهم ، ثم هى أيضا عملية تكييف الفرد لكى يستطيع أن ينسجم فى المجتمع الذى يعيش فيه وأن ينخرط بنجاح فى المجموع الذى يكون هو أحد أفراده ، وأن يعمل على أن يرفع من شأن هذا المجتمع ويعمل على تقدمه ورقيه وأن يضم قوته إلى قوة الآخرين لكى يصلوا بالمجتمع

الذى يعيشون فيه إلى أقصى كمال ممكن . وأخيراً تعمل التربية على أن تهيء كل فرد لما خلق له فتعلمه مهنة أو حرفة يكسب بها عيشه ويضمن بها قوته كل حسب ميوله واستعداداته وقدراته حتى لا يكون الفرد عالة على المجتمع ولا عبئاً عليه)(١) .

التربية الإسلامية :

والمعنى السابق وإن كان عاما للتربية ، إلا أن التربية الإسلامية أيضا تعمل على تنمية العقل والتفكير وسلامة البدن ، ليكون العقل سليما والتفكير حراً ، والبدن صحيحاً قوياً يستطيع القيام بواجباته نحو نفسه ونحو عامة المسلمين . فالتربية الإسلامية عبارة عن صياغة الإنسان على أحسن صياغة تجعله ينفع نفسه وينفع قومه وأمته . أى صياغة دينية إيجابية ، توافق ما خلقه الله عليه خلقاً إنسانياً منتجاً(٢) قال عز من قائل: « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم »(٣) .

ويذهب الإمام ابن تيمية إلى أن التربية الإسلامية ، هى التربية وكفى وأنها هى المنتجة حقاً ، وأنه لا تضارعها فى هذا المضمار تربية أخرى فيقول . (كل من استقرأ أحوال العالم ، وجد المسلمين أحد وأسد عقلا وأنهم ينالون فى المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم فى قرون وأجيال . وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك . وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوى الإدراك ويصححه)(٤) .

---

(١) أسس التربية وعلم النفس ص ١
(٢) نشأة التربية الإسلامية د/ سعيد إسماعيل على ص ١٣٢
(٣) سورة التين آية ٤
(٤) نقض المنطق ص ٨

كما تعمل التربية الإسلامية على تربية الخلق ، ليكون المسلم على خلق كريم وصفات حميدة بين الناس ، وإذا كان المجتمع متصفا بهذه الصفات الكريمة والخلال الحميدة فهذا هو عمل التربية الإسلامية ، مجتمع نظيف في أخلاقه ، نظيف في تفكيره صحيح في بدنه وعقله ، نظيف في عقيدته وشريعته ، نظيف في معاملاته مع الآخرين ، كما تعمل التربية الإسلامية على أن يكسب الإنسان من عمل يده بتهيئته للعمل المناسب له حتى لا يكون عالة على الإخرين ، وفي القرآن الكريم حث على ذلك قال تعالى « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور »[١] وقال عز وجل : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »[٢] وقال الرسول ﷺ : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده »[٣].

مما سبق يتضح لنا عظم العمل ومنزلته عند الله عز وجل ورسوله ﷺ وأن الإسلام هو دين العمل والكفاح ، وليس دين الكسل والخمول والاعتماد على الغير .

يقول الدكتور محمد عطية الإبراشي :

التربية هي اعداد المرء ليحيا حياة كاملة ، ويعيش سعيدا ، محبا لوطنه ، قويا في جسمه ، كاملا في خلقه ، منظما في تفكيره ، رقيقا في شعوره ماهرا في عمله ، متعاونا مع غيره ، يحسن التعبير بقلمه ولسانه . ويجيد العمل بيده[٤] .

---

(١) الملك : ١٥ (٢) التوبة : ١٠٥

(٣) رياق الصالحين ص ٢٤٨ والحديث رواه الإمام البخاري رحمه الله .

(٤) روح التربية الإسلامية ص ٧

والفرق بين التربية الاسلامية وغيرها من مناهج التربية ، هو أن التربية الاسلامية لاتقتصر على فرد بعينه ، ولاتهتم بجزء منه دون جزء ، ولا تقتصر على مجتمع بعينه ، بل أنها تهتم بالإنسان أينما وجد وحيثما كان الإنسان بمعناه الشامل الذى يشمل الإنسانية جمعاء فى مشارق الأرض ومغاربها .

يقول الأستاذ محمد قطب :

إن الإسلام لا يحصر نفسه فى تلك الحدود الضيقة،ولا يسعى لاعداد المواطن الصالح فقط ، وإنما مهمته تسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل ، هو اعداد الإنسان الصالح ، الانسان على إطلاقه ، بمعناه الانسانى الشامل للإنسانية الانسان بجوهره الكامن فى أعماقه ، الانسان من حيث هو إنسان ، لامن حيث هو مواطن فى هذه البقعة من الأرض أو فى ذلك المكان ... إن دعوة الإسلام دعوة لاتعرف حدود الوطن ولاالعنصر ولا القبيلة ولا الأسرة ، لاتعرف حاجزاً واحداً من الحواجز المصطنعة التى يقيمها الناس لأنفسهم فى الأرض ، ويتصارعون من داخلها على الغلبة والسلطان . دعوة لاتقسم الناس طوائف، ولاتقسمهم ألواناً ولاعناصر وإنما تنفذ إلى قلوبهم مباشرة ، حيث يكمن الإنسان الجوهر الفذ ، الذى تتكون منه الإنسانية[1] .

---

(١) منهج التربية الإسلامية ص١٤ ، ١٥

منهج التربية الإسلامية :

رسم الإسلام للتربية منهجا متكاملا يتناول الإنسان من جميع نواحيه بحيث لو طبق تطبيقا سليما لخرج للمجتمع الإسلامى المسلم المتكامل السوى الذى يستطيع أن يحقق هدف الإسلام من التربية . ذلك لأن الله عز وجل هو خالق الإنسان فهو أعلم باحتياجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية وهو الذى أرسل رسوله ﷺ بمنهج التربية المتكامل الذى عنى بجسم المسلم كما عنى بروحه وعقله مراعيا فى كل ذلك استعداداته وخصائصه واحتياجاته .

لذلك رأينا كيف استطاع الرسول ﷺ أن يكون من عرب الجزيرة العربية أمة قوية متماسكة عزيزة فى نفسها ، قوية بإيمانها ، تحمل رسالة وتنشىء حضارة وتصنع تاريخا عظيما ؟ وكيف خلقت رسالة الإسلام من الفرقة وحدة ومن الضعف قوة ، ومن الأمية والجهالة علماً ، ومن البداوة حضارة ، ومن التخلف تقدماً ، ومن الحفاه العراة خير أمة أخرجت للناس ؟ وكيف ربى الرسول ﷺ قلة مؤمنة ضعيفة هاجر بهم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، حيث كون منهم مجتمعاً قوياً وأقام دولة عزيزة فى دينها عظيمة فى بنيانها ؟ ثم كيف دانت الجزيرة العربية كلها بدين الحق بعد ذلك ؟ .

ذلك هو سر الإسلام وعظمة كتابه ، وعمل منهجه التربوى فى تقويم النفوس والأمم ، وصقلها على الفضائل والحب ، وأثر تطبيقه فى المجتمعات .

يقول الأستاذ محمد قطب :

منهج التربية الإسلامية فريد فى كل مناهج الأرض ، وأن التقى ببعضها فى التفصيلات والفروع ، فريد فى شموله ويقظته لكل دقيقة من دقائق النفس البشرية وكل خالجة وكل شعور ، وفريد فى أثره فى داخل النفس وفى واقع الحياة ، فقد كان من أثره تلك الأمة العجيبة فى التاريخ، الأمة التى انتفضت من تراب الأرض فوصلت إلى السماء ، والتى قامت من شتات متناثر لايكاد يلتقى على غير الصراع والحرب ، فإذا هى أمة صلبة متماسكة لامثيل لها فى الأرض ، تفتح وتغزو وتعمر وتبنى، وتقيم مثلا اخلاقية وإنسانية غير معهودة من قبل ولا من بعد ، وتنتشر فى سنوات قليلة فى رقاع الأرض ، تنشر النور والهدى ، وتنشىء الحياة بإذن ربها من جديد .

هذه الأمة كلها من نتاج هذا المنهج ، كلها بمادياتها ومعنوياتها ، بمشاعرها وأفكارها ، وسلوكها وأعمالها ، أمة فريدة فى التاريخ[١].

مما سبق يتضح لنا أن منهج التربية الإسلامية منهج متميز عن كل ماعداه من مناهج التربية سواء كانت شرقية أو غربية، حيث أن مناهج التربية الغير إسلامية تعنى بجانب فى حياة الإنسان وتترك ماعداه ، كأن تعنى بالناحية الجسمية وتترك الناحية الروحية أو العكس، أو تهتم باللون والعنصر والجنس كما يحدث فى أمريكا وغيرها من تفضيل للأبيض على الأسود مما أدى إلى وجود طبقات فى المجتمع الواحد ، أو تهتم بمجتمع وتفضله على المجتمعات الأخرى ، أما منهج التربية الإسلامية فهو منهج فريد فى شموله للإنسان ولكل دقائق النفس البشرية ، لكل حركة من

(١) منهج التربية الإسلامية ص ١٠

حركاتها ، حيث أنه منهج ربانى ، من خالق النفس البشرية ، والأعلم بها وبما ينفعها وما يضرها ، وما يصلحها فى شئونها الخاصه والعامة .

ولاشك أن هذا المنهج فى عمومه وشموله وسعته هو الذى يتسق مع طبيعة الإسلام، إذ أن الإسلام ليس دعوة محدودة بوطن من الأوطان ولا بجنس من الأجناس ، ولا لعصر من العصور ، وإنما هو دعوة عالمية تشمل كل الاوطان وكل الاجناس فى جميع العصور ، قال تعالى: لرسوله ﷺ : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»[١] .

وقال له فى آية أخرى : «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[٢].

والإنسان الصالح لاتختلف مواصفاته فى ميزان الإسلام باختلاف الازمنة والامكنة والبيئات والاجناس ، وإنما مواصفاته واحدة فى كل زمان ومكان ومع كل البيئات والاجناس ، إنه فى إجمال: الإنسان الذى يرتبط بمنهج الله عز وجل ، وتكون أعماله وأقواله وحركاته وسكناته كلها صادرة عن منهج الله أيا كان نوع نشاطه فى الحياة .

ومن هنا فإن منهج التربية الإسلامية يعالج الإنسان البشرى الصالح كله ، روحه وعقله وجسمه ، ولا يقتصر على ناحية دون أخرى ، إنه يأخذ الإنسان البشرى على ما هو عليه ، أعنى على فطرته التى خلقه الله عز وجل عليها ولا يهمل منها شيئا ، ولا يفرض عليهـــا شيئا ليس فى تركيبها .

---

(١) الانبياء : ١٠٧ (٢) سبأ : ٢٨

الفصل الأول

مصادر التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية مصادر أساسية ودعائم واضحة منها تستقى الأصول وتخط المنهج وتتبع السبيل، هذه المصادر تتمثل فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

المبحث الأول

أولا : القرآن الكريم :

١ — تعريفه لغة واصطلاحاً :—

القرآن الكريم لغة مصدر مرادف للقراءة ، تقول : قرأ الكتاب قراءة وقرآناً وقد وجد اللفظ بهذا المعنى فى القرآن الكريم .

قال تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه »(١) ، أى إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قراءته ثم نقل من هذا المعنى وجعل علماً واسماً لكلام الله سبحانه وتعالى المنزل على سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم .

أما معنى القرآن الكريم فى اصطلاح العلماء فهو كلام الله عز وجل المنزل باللغة العربية لفظاً ومعنى على سيدنا محمد ﷺ والمتعبد بتلاوته ،

---

(١) سورة القيامة الآيات : ١٧ ، ١٨

المتحدى بأقصر صورة منه المنقول إلينا تواتراً ، المحفـــوظ بين دفتى المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس .

فالقرآن الكريم عماد هـذا الدين وأصل الشريعة ، والكتاب الخالد ، وهو هدية الخالق سبحانه وتعالى إلى الخلق ، به ختم الله الكتب السماوية ، وشمل سعادتى الدنيا والآخرة ، وقد خلا من التحريف والتزييف والتبديل وهذا مصداق لقوله تعالى : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »[١] .

وقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[٢] .

فقد تكفل الله عزوجل بحفظه وتعبد المؤمنين بتلاوته ، وقد بين الله سبحانه وتعالى الهدف من إنزاله فقال جل وعلا : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد »[٣] .

وجعله الله جلت قدرته معجزة رسوله الكبرى الدالة على صدقه ، والمبلغ عن الله تعالى فقال عز وجل : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور من مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين »[٤] .

---

(١) سورة فصلت الآية : ٤٢
(٢) سورة الحجر الآية : ٩
(٣) سورة إبراهيم الآية : ١
(٤) سورة هود الآية : ١٣

والقرآن الكريم دستور التربية الإسلاميـــة ومنهج البناء الإلهى للإنسان ، وما ذلك إلا لهدايته للطريق الأقوم .

قال تعالى : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »[١] . والبعد به عن الدساتير الأخرى التى لا تنفع ، بل تضر ، ولا تقدم ، بل تؤخر .

قال تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء »[٢] .

وقد بدأ نزول القرآن بآيات تربوية ، فيها اشارة إلى أن أهم أهـدافه تربية الإنسان بأسلوب حضارى فكرى ، عن طريق الاطلاع والقراءة والتعلم والملاحظة العلمية ، قال عز وجل : « اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم »[٣] .

لقد جاءت آياته ناطقة بالتربيـة ، وجاءت التربية من رب العالمين فى مثل وضوح الخلق وإبداع آياته ، فكأن الله عز وجل يريد أن يقول للناس إذا كانت الصورة الخلقية جميلة وكاملة ، فالذى خلقها وأبدعها وجملها ما جعلها كذلك إلا من أجل تكريمها بالمنهج التربوى زيادة لها فى الجمال وارتقاء بها إلى رتب الكمال .

وقد كان للقرآن الكريم وقع عظيم وأثر تربوى بالغ فى نفوس المسلمين ، حتى شغلهم عن الشعر ، وكانوا من أشد الناس تعلقاً به ، وعن

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٩

(٢) سورة الأنعام الآية : ٧٣

(٣) العلق : ١ — ر وانظر : أصول التربية الإسلامية — عبد الرحمن النحلاوى ص ٢٤

الحكم والكهانة ، وأخبار الفروسية وأخبار العرب فى جاهليتهم ، والسر فى ذلك أن للقرآن أسلوباً رائعاً ، ومزايا فريدة فى تربية المرء على الإيمان بوحدانية الله وباليوم الآخر ، إنه يفرض الإقناع العقلى مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية ، فهو بذلك يربى العقل والعاطفة جميعاً ، متمشياً مع فطرة الإنسان فى البساطة وعدم التكلف ، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة ، يبدأ القرآن من المحسوس المشهود المسلم به كالمطر ، والرياح ، والنبات ، والرعد ، والبرق ، ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله ، وعظمته ، وقدرته وسائر صفات الكمال ، مع اتخاذ أسلوب الاستفهام أحيـــاناً ، إما للتقريع ، وإما للتنبيه ، وإما للتحبيب والتذكير بالجميل ، أو نحو ذلك مما يثير فى النفس الانفعالات الربانية : كالخضوع ، والشكر ، ومحبة الله ، والخشوع له .

ثم تأتى العبادات والسلوك المثالى تطبيقاً عملياً للأخلاق الربانية .

ولعل أوضح مثال على هذا الأسلوب التربوى القرآنى يتضح فى سورة الرحمن ، حيث يذكرنا الله جل جلاله بنعمه ودلائل قدرته ، بادئاً من الإنسان ، وقدرته على التعليم ، إلى ما سخر الله له من الشمس والقمر ، والنجم والشجر والفاكهة والثمر ، وما خلق من السماء والأرض ، وعند كل آية أو عدة آيات استفهام يضع الإنسان أمام الحس والوجدان وصوت القلب والضمير ، فلا يستطيع أن ينكر ما يحس به ويستجيب له عقله ، وقلبه .

وقد تكرر هـــذا الاستفهام : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » فى الرحمن إحدى وثلاثين مرة ، وفى كل مرة يثير انفعالا يختلف بحسب الآية التى تسبقه[١] .

---

(١) أصول التربية الإسلامية — عبد الرحمن النحلاوى ص٢٢، ٢٣، ٢٤ بتصرف .

وإذا نظرنا إلى كبار الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، الذين حفظ التاريخ أسماءهم ، لوجدنا أثر القرآن الكريم فى تكوين عقائدهم وأخلاقهم ، وفى روح التقوى وفضيلة العبادة التى غلبت على نفوسهم ، وجعلتهم مثلا عليا فى تاريخ البشرية كلها .

ونذكر منهم سيدنا أبا بكر الصديق وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا على وغيرهم — رضى الله عنهم أجمعين — ممن تغلغل الدين فى أعماق نفوسهم فظهروا على مسرح التـــاريخ شموساً ساطعة ومصابيح منيرة ، ونماذج تحتذى ومنابع فياضة بالإيمان والتقوى والخير العميم ، وذلك بما تغرسه التربية الإسلامية فى الإنسان من العزة والشعور بالكرامة ، بل الاستماتة فى سبيلها ، مهما أحاطت به الشدائد ، أو أذهلته عنها المغريات .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »[1] .

ولا يفوتنا أن نشير إلى ما حدده القرآن الكريم من أشخاص هؤلاء الأصحاب الطيبين ، الذين تربوا مباشرة على يد الرسول — صلى الله عليه وسلم — يقول عز وجل : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »[2] .

ويشيد بهم فرحاً بتلك الثمار الطيبة التى كانت نتيجة ذلك الهدى الأقوم : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغـــون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم من أثر

---

(١) سورة المنافقون الآية : ٨
(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢٣

السجود . ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل ، كزرع أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفـــرة وأجراً عظيماً »[1] .

وفى هذا الإجمال الجامع الذى يشير إليه القرآن الكريم غنى عن تفصيل أخبار هؤلاء الرجال وتقديم أمثلة فردية منهم بقصصها كدلالة على نجاح التربية الإسلامية .

إن القرآن الكريم مصدر التربية الإسلامية يعلمنا كيف نربى أولادنا وشبابنا تربية إسلامية فيقول عز وجل على لسان لقمان الحكيم عليه السلام وهو يعظ إبنه : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم : ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ، وفصاله فى عامين ، أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى : ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير : يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »[1] ، ففى هذه الآيات الكريمة الجامعة

---

(١) الفتح : ٢٩

(١) لقمان : ١٣ — ١٩

يرسم المولى تبارك وتعالى المنهاج القويم والطريق السليم لتربية الأولاد تربية سليمة، فيها العزة والكرامة والسعادة والسلام.

إن كتاب الله تعالى يفيض بالتربية التى تهدف إلى تكوين إنسان صالح، ومجتمع متماسك قوى، وأمة عزيزة شامخة، فاهتم القرآن الكريم بتربيتهم على الإخاء قال عزوجل: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون»[١] واهتم بتربيتهم على التعاون قال تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»[٢].

واهتم بتربيتهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال سبحانه: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[٣]. واهتم بتربيتهم على العزة والكرامة قال جلت قدرته: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»[٤] واهتم بتربيتهم على العدل فى القول قال عز من قائل: «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى»[٥] واهتم بتربيتهم على العدل فى الفعل قال تعالى: كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا. أعدلوا هو أقرب للتقوى[٦] واهتم بتربيتهم على العدل فى الوفاء بالعهد قال تعالى: ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا، إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون»[٧] واهتم بتربيتهم على العدل فى الحكم بين الناس قال عز وجل:

---

(١) الحجرات: ١٠
(٢) المائدة: ٢
(٣) آل عمران: ١١٠
(٤) المنافقون: ٨
(٥) الأنعام: ١٥٢
(٦) المائدة: ٨
(٧) النحل: ٩٥

وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . »[١].

والقرآن الكريم يهدف من وراء هذا النوع من التربية العالية الرفيعة إلى رفع النفس عن مستوى لا يليق بها ووضع لا يجدر بكرامتها :

وهكذا نجد أن القرآن الكريم يهدف إلى تربية جيل من الناس ، تربية أمة تربية توافق الفطرة . وتتوائم مع النفس الإنسانية ولا تحيد قيد أنملة عن الفطرة الإسلامية كما قال تعالى : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[٢] :

إن الإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شيء واحد ، وأن مبادىء الإسلام وأحكامه مطابقة تماماً لسنن الفطرة ، وأن مايعتور الناس من عوج إنما هو أمر طارىء راجع إلى الخروج عن التربية الإسلامية الصحيحة أى إلى عدم تنشئة النشىء على أصول الإسلام وأخلاقه وأعماله، وإلى عدم إشراب النشىء روح الإسلام وحبه . إن طريق تحقيق الفطرة السليمة بحذافيرها فى الإنسان ، وهو المثل الأعلى للغرض من التربية عند علمائها ، إنما يمكن عن طريق الإسلام وتطبيق أصوله وأحكامه وروحه فى البيت والمدرسة والمجتمع وأن كل طريق للتربية فى الصغر ولإحسان السلوك فى الكبر إنما يحقق من غرض التربية الأعلى ، ومن سعادة الإنسان والإنسانية ، بقدر ما يهتدى فى ذلك بالإسلام كما أنزله الله تعالى فى كتابه، وطبقه الرسول ﷺ فى جميع سنن الحياة [٣] .

والقرآن الكريم له سحره فى تحويل الناس عن عبادة الأصنام ، التى لا تنفع ولا تضر ، إلى عبادة الله الواحد القهار ، حيث أيقظ فيهم ملكة

---

(١) النساء : ٥٨ (٢) الروم : ٣٠

(٣) الإسلام فى عصر العلم د / محمد أحمد الغمراوى ص ٧ مطبعة السعادة ط أولى ١٩٧٣

الانتباه والتيقظ وأعمال العقل فيما حولهم قال عز وجل : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت »[1] ، بل أنه يذهب إلى أبعد من هذا وهو النظر فى النفوس : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »[2].

ويظل القرآن الكريم هكذا يحرك عقولهم ويوقظ انتباهها إلى غرائب صنع الله وعجائبه ، حتى يتركوا ما عكف عليه الآباء والأجداد ، حيث كانوا يقولون : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون »[3] والدين والعقيدة إذا تمكنا فى نفس الإنسان وقلبه فلن تستطيع قوة فى الأرض أن تخرجها منه ، ولكن انظر إلى القرآن الكريم كيف أخرجها ؟ ليس بالحرب أو السوط أو الإرهاب ولكن بالبرهان والحجة والدليل:

والقرآن الكريم حريص على أن يربى أقوى الأمم وأعزها ، لحرص على تكوين أفراده أعزاء كرماء وغرس فيهم كل الفضائل وعلمهم الأدب والذوق والتزام الحدود المشروعة أو البروتوكول حتى فى أصواتهم « واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »[4] وكذا فى المشى : « ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور »[5] والنظر : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم »[6] كما عودهم الأدب فى التزاور : « وأتوا البيوت من أبوابها »[7] « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها »[8] إنها تربية القرآن الكريم ، الذى خلق من العرب الجفاة قياصرة ومن الجلاف أكاسرة، وإنه

---

(١) الغاشية : ١٧ — ٢٠
(٢) الزاريات : ٢١
(٣) الزخرف : ٢٣
(٤) لقمان : ١٩
(٥) لقمان : ١٨
(٦) النور : ٣٠
(٧) البقرة : ١٨٩
(٨) النور : ٢٧

لتشريع حكيم ، من اعتز به أعزه ومن تبعه وتمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، كل النظريات التربوية وليدة فكرة تشريعية، فهو لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وصدق الله حيث يقول : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء »[١] .

ثانياً : — السنة النبوية الشريفة .

تعتبر السنة النبوية الشريفة المصدر الثانى الذى تستقى منه التربية الإسلامية ، فما معناها فى اللغة والاصطلاح ؟

السنة فى اللغة : —

تطلق السنة فى اللغة على السيرة حسنة كانت أو قبيحة ، الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المحمودة المستقيمة ، والسنة من الله يراد بها حكمه وأمره ونهيه ، والسنة من النبى ﷺ الطريقة التى كان يتحراها والجمع سنن [٢].

وبهذا الإطلاق اللغوى جاءت كلمة السنة فى القرآن الكريم . قال عز وجل « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين [٣] — وقال جل فى علاه : «سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا »[٤] وقال جل جلاله . ولن تجد لسنة الله تبديلا[٥] .

---

(١) الأنعام : ٣٨

(٢) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢٢٧ ، المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٥٦ ، المصباح المنير جـ ١ ص ١٣٣

(٣) الكهف ٥٥ (٤) الإسراء : ٧٧

(٥) الفتح : ٢٣

وجاءت أيضاً فى السنة النبوية بهذا المعنى : فقد أخرج الإمام مسلم بسنده إلى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع... وأخرج عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شىء . ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شىء »[1] .

والذى نستخلصه من هذا أن السنة هى الطريقة والسيرة سواء كانت حسنة أو سيئة ، وقد تنصرف إلى الحسن عند وجود القيد كأهل السنة إذ أصبح هذا علماً عليهم ، وقد إستعملت السنة منذ عهد الرسول ﷺ إستعمالا خاصاً فقصرت الطريقة والسيرة على طريقة الرسول ﷺ وسيرته فيما يتعلق بشئون الدين والأخلاق ، باعتبار أنه ﷺ جاء بدين يبلغه للناس عن الله سبحانه وتعالى ، ومن المستحيل أن تكون له سيرة سيئة ، لأنه معصوم من الخطأ من قبل الله عزوجل .

السنة فى الإصطلاح :

السنة فى الإصطلاح معناها : ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول ، أو فعل أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية .

فمثال القول : ما رواه الإمام البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه

---

(١) صحيح مسلم كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة جـ ٢ ص ٤٦٥

قال : قال النبي ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »[١] .

ومثال الفعل : ما رواه الإمام البخاري أيضا بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ إذا قام فى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك إذا رفع رأسه من الركوع ويقول : سمع الله لمن حمده ، ولا يفعل ذلك فى السجود »[٢] .

ومثال التقرير : ما روى فى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال النبي ﷺ لما رجع من الأحزاب : « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة ، فأدرك بعضهم العصر فى الطريق ، فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها . وقال بعضهم : بل نصلى ، لم يرد منا ذلك فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم »[٣] .

ومثال الصفة الخلقية : ما رواه الإمام البخاري من حديث أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير »[٤] .

---

(١) صحيح البخارى ج١ ص١٠ باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان .

(٢) صحيح البخارى ج ١ ص ١٨٧ ، ١٨٨ باب رفع اليدين إذا كبر واذا ركع رفع .

(٣) اللؤلؤ والمرجان ج ٢ ص ٢١٧ باب من لزمه أمر فدخل عليه أمر آخر .

(٤) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٨٨ باب صفة النبي ﷺ .

ومثال الصفة الخلقية : ما رواه الإمام البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها »[١] .

حجيتها :

أجمع العلماء الثقات على حجية السنة النبوية سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الإستقلال ، وأصبح العمل بها ضرورة دينية .

قال الإمام الشوكانى : إن ثبوت حجية السنة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف فى ذلك إلا من لاحظ له فى دين الإسلام[٢] .

والسنة جاءت فى الأصل لتحقيق هدفين :

١ — إيضاح ماجاء فى القرآن الكريم ، وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم فى قول الله عز وجل : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون »[٣] .

وفى قوله سبحانه وتعالى : « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »[٤] .

والذى نفهمه من هاتين الآيتين الكريمتين أن الله عز وجل كلف رسوله صلى الله عليه وسلم ببيان القرآن الكريم وذلك لا يكون إلا عن طريق السنة النبوية .

---

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٣٠ باب شدة حياء النبى ﷺ .
(٢) إرشاد الفحول للشوكانى ص ٣٩
(٣) النحل ٤٤ (٤) النحل ٦٤

ومن هنا كانت السنة بيان وتوضيح وتفصيل للقرآن الكريم أو بمعنى آخر مذكرة تفسيرية لكتاب الله عز وجل توضح مبهمه وتفصل مجمله، وتبين خاصه من عامه.

٢ — بيان تشريعات وآداب أخرى كما ورد فى قول الله عز وجل « ويعلمهم الكتاب والحكمة »[1] .

أى السنة كما فسرها الإمام الشافعى رحمه الله تعالى، والطريقة العلمية التى بها تتحقق تعاليم القرآن الكريم.

السنة والتربية:

هذا وللسنة فى المجال التربوى فائدتان عظيمتان:

(ا) إيضاح المنهج التربوى الإسلامى المتكامل الوارد فى القرآن الكريم وبيان التفاصيل التى لم ترد فى القرآن الكريم.

(ب) إستنباط أسلوب تربوى من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه، ومعاملته الأولاد، وغرسه الإيمان فى النفوس.

والإسلام يرى أن القدوة أعظم وسائل التربية، فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس، لا بد للطفل من قدوة فى أسرته ووالديه لكى يتشرب منذ طفولته المبادىء الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع، ولا بد للناس من قدوة فى مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة لكى يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال، ولا بد للمجتمع من قدوة فى قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهم، تتحقق فى شخصه المبادىء وينسج على منواله المحكومون.

---

(١) الجمعة : ٢

والقدوة للجميع هى شخصية الرسول — ﷺ — التى تتمثل فيها كل مبادىء الإسلام وقيمه وتعاليمه ، ومن ثم يقيم الإسلام منهجه التربوى على أساس أنه هو الذى يسير دفة المجتمع ودفة الحياة ، أنه لا يجعل التربية مجهوداً فردياً يخفق أو ينجح وتذروه الرياح والأعاصير ، وإنما يجعله منهجاً شاملا متكاملا يبدأ بولى الأمر وينتهى بالطفل الرضيع ، حكم إسلامى ، ومجتمع إسلامى ، وتربية إسلامية ، وحين يتكون مجتمع إسلامى فإنه يشرب أطفاله مبادىء الإسلام عن طريق القدوة القائمة فى هذا المجتمع ، متمثلة فى الأسرة والوالدين .

إن الولد الذى يرى والده يكذب ، لا يمكن أن يتعلم الصدق !

والولد الذى يرى أمه تغش أباه أو أخاه أو تغشه هو نفسه ، لا يمكن أن يتعلم الأمانة !

والولد الذى يرى أمه مستهترة لا يمكن أن يتعلم الفضيلة ! .

والولد الذى يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون .

والأسرة هى المحضن الذى يبذر فى نفس الطفل أول بذوره ، ويكيف بتصرفاته مشاعر الطفل وسلوكه ، ومن ثم ينبغى أن تكون أسرة نظيفة ، أسرة مسلمة ، حتى ينشأ جيل مسلم يحقق فى نفسه مبادىء الإسلام بأخذها بالقدوة المباشرة المنقولة عن قدوة الرسول — ﷺ — وينبغى أن تكون سيرة الرسول — ﷺ — جزءاً دائماً من منهج التربية ، سواء فى المنزل أو المدرسة أو الكتاب أو الصحيفة أو المذياع لتكون القدوة دائمة وحية[1] .

---

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ص ١٨٥ ، ١٨٦ بتصرف .

— ﷺ — جزءاً دائماً من منهج التربية . سواء فى المنزل أو المدرسة أو الكتاب أو الصحيفة أو المذياع لتكون القدوة دائمة وحية[1] .

منهج الرسول ﷺ فى التربية :

إن رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى للمسلم، والأسوة الحسنة والقدوة الطيبة كما قال عز وجل : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »[2] .

وذلك أن الله قد أدبه فأحسن تأديبه ، ورباه فأحسن تربيته ، فكان المثل الاعلى فى الكمال البشرى .

فهو صلى الله عليه وسلم كما صورته السيدة عائشة رضى الله عنها، كان خلقه القرآن » ، فكان كلامه القرآن ، وعبادته القرآن ، وحكمه بالقرآن. إن الرسول ﷺ هو قدوة المسلم : فى بيته ، وفى تربيته لابنائه ، فى عمله وفى مجال ارتزاقه . فى مجتمعه وفى تعامله مع غيره ، فى كل ما يأتى وفى كل ما يدع ، وبهذا تكون التربية ، وبهذا ينصلح حال المسلمين .

ومن هنا كانت بعثة الرسول ﷺ منة كبرى من الله على المؤمنين ، ونعمة عظمى أسداها إلى الأميين ، بل إلى الخلق أجمعين ، ليطهر المجتمع من أخلاق الجاهلية ، ويحل مكانها الفضائل الإنسانية ، التى جاء بها الإسلام ، فكان ﷺ وهو الأمى يعلم المؤمنين الكتاب والحكمة ، فاهتدوا إلى الرشاد، ونطقوا بالسداد ، وقد كانوا من قبل فى ضلال مبين، فكانت المعجزة التربوية للرسول ، ﷺ أن يغير طباع هؤلاء الناس وأخلاقهم

(١) منهج التربية الاسلامية محمد قطب ص ١٨٥ ، ١٨٦ بتصرف
(٢) الاحزاب : ٢١

ويبدل عاداتهم وسلوكهم وأن يصنع من هؤلاء الرجال على ما فيهم من بداوة ، ومابين قبائلهم من عداوة أمة متحابة بنور الإيمان ، متحضرة بتعاليم القرآن ، وكون منها أمة وسطا حافظت على تراث الأنبياء والمرسلين ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله .

ولقد تحدثت الدنيا عن تلك المعجزة الكبرى ، التى حولت أصحاب النبى ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين ، من عبدة للأوثان إلى عباد للرحمن عز وجل ، إذا أمرهم أطاعوه ، وإذا دعاهم أجابوه فهى بحق تربية إسلامية عجز عن الوصول إليها كل من الغرب والشرق ، لأنها لا شرقية ولا غربية ، بل إلهية سماوية .

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم المؤمنين كيف يربون أولادهم ويبدأ التربية من الصغر ، لأن الانسان يشب على ماتعود عليه قال صلوات الله وسلامه عليه : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع[1] » .

وقال بعض الحكماء : لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً .

لقد كان النبى ، ﷺ يحنو على الأطفال ويؤدبهم برفق .

فقد روى البخارى رحمه الله عن عمر بن أبى سلمة رضى الله عنه قال : « كنت غلاماً فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت يدى تطيش فى الصفحة : أى الاناء — فقال صلى الله عليه وسلم : ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك[2] وهذا أدب الجلوس على المائدة علمه الرسول

---

(١) رياض الصالحين ص ١٤٩ .

(٢) رياض الصالحين ١٤٩ .

ﷺ للطفل حتى إذا شب بعد ذلك وكبر يتعود هذه الأشياء ويتربى عليها إسلامياً .

وقد أسدى الرسول ، ﷺ نصيحة غالية للشباب المسلم فى شخص ابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت رديف رسول الله ﷺ يوماً فقال : ياغلام ، إنى أعلمك كلمات : « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجــده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء ، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف[1] .

إن الشباب الذى يتربى على قوة العقيدة هو الناجح فى حياته ، الذى يحترمه كل من يراه ، لأن علاقته بالله حببت فيه الناس .

لقد كان رسول الله ﷺ ، يحمل الحسن والحسين بين يديه ويقبلهما ويقول : « خلقوا أولادكم بغير أخلاقكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم ذلك لأن تربية الأبناء تربية حسنة هى التأمين الحقيقى لمستقبلهم ، وإذا كان المعصوم ، صلوات الله وسلامه عليه قد نبه إلى تربية الأبناء تربية عقائدية وربطهم بخالقهم فإنه لم ينس تنشئتهم على قوة البدن وسلامته ، لأن العقل السليم فى الجسم السليم والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، لقد كان يشجع على الرياضة بكل ما تحمل هذه الكلمة الجرى ، السباحة ، ركوب الخيل الرمى إلى غير ذلك .

إن التوفيق الذى أكرمه الله عزوجل به فى مجـــال تربية الإنسان

---

(١) رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وصياغته ، إنما تفرد به من بين الأنبياء والمرسلين فضلا عن المعلمين والمربين ، إن المستوى الذى بدأ منه النبى ، ﷺ عمله فى بناء الإنسانية لم يحتج إلى ذلك المستوى أى نبى أو مصلح أو مرب فقد كان ذلك آخر مستوى التدنى والإسفاف فى المعانى الإنسانية فإذا كان النبى ﷺ ، قد بدأ عمله من المستوى الأخير السافل للانسانيـة فإنه قد بلغ به إلى أرفع قمة للإنسانية وأعلاها[1].

وهكذا نجد فى شخصية الرسول ﷺ مربياً عظيماً ذا أسلوب تربوى فذ ، يراعى حاجات الطفولة ، وطبيعتها ، ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ، أى يراعى الفروق الفردية بينهم كما يراعى مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم ، يراعى فى المرأة أنوثتها : وفى الرجل رجولته ، وفى الكهل كهولته ، وفى الطفل طفولته ، ويلتمس دوافعهم الغريزية ، فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه ، ويقرب إليه من يحب المكانة لأنه فى قومه ذو مكانة ، وهو فى خلال ذلك كله يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته ، لتكميل فطرتهم ، وتهذيب نفوسهم شيئاً فشيئاً ، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو : طاقات العقل وطاقات الجسم وطاقات الروح ، لتعمل معاً وتتجاوب للهدف الأسمى ، وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع[2].

وقد سلك النبى ﷺ مع أصحابه الكرام رضى الله عنهم ، منهج الحكيم فى تربيتهم حتى غدوا حكماء علماء وأبراراً أتقياء .

هذا هو أثر التربية النبوية الاسلامية فى الصحابة رضى الله عنهم ، أخوة ومحبة ومودة حتى صاروا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

---

(١) صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الامامية لأبى الحسن الندوى ص ٢١ .

(٢) أصول التربية الإسلامية عبد الرحمن النحلاوى ص ٢٦ .

الفصل الثاني

أساليب التربية الإسلامية

خلق الله عز وجل الإنسان فى أحسن تقويم «لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم»[1] وفضله على سائر مخلوقاته «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»[2].

وأسجد له ملائكته وكرمه وفضله «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين»[3] .

وجعل له عقلا يميز به النافع من الضار «وما يذكر إلا أولوا الألباب»[4] وأرسل له رسلا يهدونه إلى الصراط المستقيم والطريق القويم .

«رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً»[5] ، وكان آخر الرسل الكرام سيدنا محمد ﷺ الذى أرسله المولى عز وجل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، من ظلمات الجهل إلى نور الحق جل فى علاه . ولينشر العدل والأمن والأمان والطمأنينة بين الناس جميعاً ، وليجعل كل فرد يحس بكيانه وبأنه عضو نافع فى المجتمع ، وليسير الجميع للبناء المتكامل الذى يجعلهم يشعرون بالسعادة والهناء «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد»[6] .

---

(١) التين ٤
(٢) الإسراء ٧٠
(٣) البقرة ٣٤
(٤) آل عمران ٧
(٥) النساء ٦٥
(٦) إبراهيم ١

والمسلم الذى يحمل هـذه الرسالة الهائلة لا بد وان يعد لذلك إعداداً كاملا وإن يربى التربية القوية حتى يكون قادراً على حملها وأدائها بما يمكنه من تحقيق أهداف الإسلام كاملة .

وللإسلام أسلوبه الخاص فى التربية ، وقد اتخذ طرقا مختلفة إذا أحسن استخدامها فإنها تؤدى إلى تربية المسلم التربية الصحية المطلوبة التى تجعله قادراً على تحقيق رسالة الإسلام فى الأرض .

ذلك لأن الله الذى خلق الإنسان هو أدرى بما يحتاج إليه من جميع نواحيه الجسمية والنفسية والإجتماعية والروحية والعقلية ، وهذه الأساليب تتكامل فيما بينها حتى تؤدى الغرض منها[١] .

وأساليب التربية الإسلامية كثيرة نذكر منها ما يلى :

(١) أضواء على التربية فى الإسلام ص ٦٦

المبحث الأول

١ — التربية عن طريق القدوة :

القدوة فى التربيه هى من أنجع الوسائل المؤثرة فى إعداد الولد خلقياً، وتكوينه نفسياً واجتماعياً ، ذلك لأن المربى هو المثل الأعلى فى نظر الطفل والأسوة الصالحة فى عين الولد، يقلده سلوكياً ،ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أولا يشعر ، بل تنطبع فى نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدرى أولا يدرى ، ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيراً فى صلاح الولد أو فساده، فإن كان المربى صادقا أميناً خلوقاً كريماً شجاعاً عفيفاً ، نشأ الولد على الصدق والأمانه والخلق والكرم والشجاعة والعفة ، وإن كان المربى كاذباً خائناً منحلا جباناً نذلا نشأ الولد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والنذالة .

إن الولد مهما كان استعداده للخير عظيما ، ومهما كانت فطرته نقية سليمة فإنه لا يستجيب لمبادىء الخير وأصول التربية الفاضلة مالم ير المربى فى ذروة الأخلاق وقمة القيم والمثل العليا ، من السهل على المربى أن يلقن الولد منهجاً من مناهج التربية ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته ويقوم على توجيهه غير متحقق بهذا المنهج وغير مطبق لأصوله ومبادئه .

ومن هنا عاب الله عز وجل على الذين يقولون مالا يفعلون فقال سبحانه وتعالى : «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»[1] .

---

(١) الصف ٣،٢

وكان تقريع الشاعر العربى أليماً فى المعلم الذى يخالف قوله فعله :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

لاتنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

لذلك بعث الله عز وجل سيدنا محمد ﷺ ليكون للمسلمين على مدار التاريخ القدوة الصالحة ، وللبشرية فى كل زمان ومكان السراج المنير والقمر الهادى . قال عز من قائل : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »[1] .

« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعيا إلى الله بإذنه »[2] وسراجاً منيراً ووضع الله عز وجل فى شخص الرسول ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامى ، ليكون للأجيال المتعاقبة الصورة الحيه الخالدة فى كمال خلقه وشمول عظمته ، سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : « كان خلقه القرآن » .

إنها إجابة دقيقة مختصرة شاملة ، ضمت فى معانيها منهج القرآن الشامل ومبادىء الأخلاق الفاضلة ، حقا إن النبى ﷺ كان الترجمان الحى

---

(١) الأحزاب ٢١
(٢) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

لفضائل القرآن والصورة المتحركة لتوجيهاته الخالدة ، من يستطيع أن يصل إلى نقطة من بحره العظيم[1] .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام هو القدوة الكاملة للمسلمين ، فكان جواداً ، وكان أجود من الريح المرسلة ، وكان يصوم ويفطر ويقوم وينام ويتزوج وقد أنكر على الثلاثة الذين اتفقوا فيما بينهم كما جاء فى الحديث الذى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى[2] .

وكان الرسول ﷺ مضرب المثل فى الشجاعة والإقدام ، فإذا سمع بالمدينة صوت غريب وخرج الصحابة ليروا السبب وجدوا الرسول عليه الصلاة والسلام قد سبقهم إلى ذلك ، وإذا حمى وطيس المعركة إلى الدرجة التى تجعل الشجاع يفر منها وقف صامداً يقول :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

---

(١) تربية الأولاد فى الإسلام عبد الله علوان جـ ٢ صـ ٦٢٣ — ٦٣٥ بتصرف .

(٢) رياض الصالحين صـ ٨٢

وقد أصبح معروفا عند المسلمين أن النبي عليه الصلاة والسلام كان لا يأمر بشيء إلا ويسبق الناس إلى عمله ولا ينهى عن شيء إلا ويسبق الناس إلى إجتنابه ، وعلى هـــذا النهج يجب أن يسير الآباء والأمهات والمعلمون والمعلمات حتى تتأصل القدوة في نفوس الناشئة ، والنبي ﷺ قدوة للمسلمين جميعاً ، وقد اقتضى الصحابة رضي الله عنهم بالرسول ﷺ في كل أعماله بقدر إستطاعتهم فانطلقوا يصنعون الأعاجيب سواء كان ذلك في حياته أم بعد مماته ، ذلك لأن رسول الله ﷺ حي في نفوس المسلمين بالقرآن الكريم الذى أنزل عليه وبسنته التى يتدارسونها .

والإسلام يقيم التربية على أساس القدوة فالطفل له قدوة في أسرته وسيرة النبي ﷺ جزء من التربية[1] .

والتلميذ في المدرسة لابد له من قدوة يراها في كل معلم من معلميه أو مدرس من مدرسيه ، ليقتنع حقا بما يتعلمه وليرى فعلا أن ما يطلب منه من السلوك المثالى أمر واقعي ممكن التطبيق ، وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلا في تطبيقه ، فلابد للأب والمعلم من التحلى بأفضل الأخلاق يستلهمانها من القرآن الكريم ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويصيران على تطبيقها والتحلى بها ، وقد جعل الإسلام القدوة الدائمة لجميع المربين شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم . قدوة متجددة على الأجيال ، متجددة من واقع الناس كلما قرأنا أخباره إزددنا حبا له وإقتداء به .

وهكذا تظل القدوة في الإسلام ، شاخصة ماثلة للعيان تتدفق حيويتها ولا تتحول إلى خيال مجرد تهيم في حبه الأرواح ، دون تأثير واقعي ،

---

(١) أضواء على التربية في الإسلام ص ٦٧ على القاضي .

ولعل الحكمة فى ذلك ما أودعه الله عز وجل فى طبيعة النفس الإنسانية من إستعداد للمحاكاة[١] .

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر قدوة للبشرية فى تاريخها الطويل ، وكان مربيا وهاديا بسلوكه الشخصى قبل أن يكون بالكلام الذى ينطق به ، سواء فى ذلك القرآن الكريم المنزل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن طريقه أنشأ الله عز وجل هذه الأمة التى يقول فيها سبحانه وتعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله »[٢] وبه من الله على تلك الأمة . « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين »[٣] وهذه القدوة العظيمة باقية ما بقيت السموات والأرض[٤] .

---

(١) أصول التربية الإسلامية عبد الرحمن النحلاوى ص ٢٥٧

(٢) آل عمران : ١١٠

(٣) آل عمران : ١٦٤

(٤) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

المبحث الثانى

٢ — التربية عن طريق الموعظة :—

فى القاموس المحيط : وعظه يعظه وعظاً وعظة وموعظة : ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ(١) .

والواعظ : من ينصح ويذكر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(٢) .

وفى الاصطلاح فالوعظ : يطلق على القول الحق الذى يلين القلوب ويؤثر فى النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية(٣) .

فالوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذى يرق له القلب ويبعث على العمل .

والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان ، وتهزه هزاً ، وتثير كوامنه لحظة من الوقت كالسائل الذى تقلب رواسبه فتملأ كيانه ولكنها إذا تركت تترسب من جديد ، لذلك لا تكفى الموعظة وحدها فى التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة والوسط ، الذى يسمح بتقليد القدوة ويشجع على الأسوة ، فالقدوة المنظورة الملموسة ، هى التى تعلق المشاعر ، ولا تتركها تهبط إلى القاع وتسكن بلا حراك .

وحين توجد القدوة الصالحة فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ فى

---

(١) جـ ٢ ص ٤٠٠

(٢) المفردات فى غريب القرآن صـ ٥٢٧

(٣) هداية المرشد صـ ٧١

النفس وتصبح دائماً من أعظم الدوافع فى تربية النفوس . ثم إنها من جانب آخر ضرورة لازمه، ففى النفس دوافع فطرية فى حاجة دائمة للتوجيه والتهذيب ، ولا بد فى هذا من الموعظة . موعظة لطيفة خفيفة مؤثرة ترد الطفل إلى صوابه وتعوده على مكارم الأخلاق ، والإنسان الكبير كالطفل الصغير فى حاجة دائمة إلى المواعظ[1] .

والموعظة أسلوب معروف فى التربية الإسلامية يتطرق إلى النفس من مداخلها الحقيقية ويجعل الواعظ شخصاً حريصاً على المصلحة فيكون كلامه مقبولا ، ويكون هذا الأسلوب مفيداً إذا كان المنصوح يثق فى الناصح وإذا كانت الموعظة والنصيحة صادرة من القلب ، لأن ما يصدر عن القلب لا بد وأن يصل إلى القلب ، وفى أسلوب الموعظة مجال كبير التوجيه إلى ما فيه الخير والرشاد والصلاح والاصلاح .

ويمكن للمعلم أو الواعظ أن يختار الوقت المناسب والموقف المناسب حتى تكون الفائدة كاملة .

والتربية بالموعظة تعتبر من أهم وسائل التربية المؤثرة فى تكوين الولد إيماناً ، وإعداده خلقياً ونفسياً واجتماعيا ، لما للموعظة والنصيحة من أثر كبير فى تبصير الولد حقائق الأشياء ، ودفعه إلى معالى الأمور ، وتحليه بمكارم الأخلاق، وتوعيته بمبادىء الإسلام ، فلا عجب أن نجد القرآن الكريم قد انتهجها ، وخاطب النفوس بها ، وكررها فى كثير من آياته ، وفى مواطن عدة من توجيهاته وعظاته ، وأسلوب القرآن الكريم متنوع فى الدعوة إلى الله عز وجل ، وفى التذكير بالله جلت قدرته ، وفى إلقاء الموعظة ، والإرشاد ، والنصيحة ، حيث جرى ذلك كله على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتردد على أفواه الدعاة من جماعتهم وأتباعهم ،

---

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب صـ ١٨٧

ولا يختلف اثنان فى أن الموعظة المخلصة والنصيحة المؤثرة إذا وجدت لها نفساً صافية . وقلباً متفتحاً ، وعقلا حكيما متدبراً ، فإنها أسرع للاستجابة وأبلغ فى التأثير[١] .

ولو نظرنا إلى القرآن الكريم كتاب رب العالمين لوجدنا أنه ملىء بالآيات التى تتخذ أسلوب الوعظ أساساً لمنهج الدعوة ، وطريقاً إلى الوصول لاصلاح الأفراد ، وهداية الجماعات .

قال تعالى : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم * ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ، وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * يا بنى انها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »[٢] .

وقال عز وجل : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا[٣] .

---

(١) تربية الأولاد فى الاسلام — عبد الله علوان حـ ٢ ص ٦٨٥ ، ٦٨٦ بتصرف .

(٢) لقمان : ١٣ — ١٩

(٣) سورة النساء الآية : ٥٨

وقال عز من قائل : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربى ارحمهما كما ربيانى صغيرا ، ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ، ولا تقربوا الزنا ، إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها[1] » .

وقال جل فى علاه : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ماسألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو

---

(١) الإسراء : ٢٣ — ٣٨

على كل شيء شهيد ، قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب ، قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»[1] .

وقال أيضاً : «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا»[2] .

ومن استعرض صفحات القرآن الكريم يجد ظاهرة الأسلوب الوعظى حقيقة ملموسة فى كثير من آياته ، تارة بالتذكير بالتقوى ، وأخرى بالتنويه بالتذكرة ، وثالثة بالتعبير بالموعظة ، ورابعة بالحض على النصح وخامسة باتباع سبيل الرشاد ، وسادسة بالإغراء بالترغيب ، وسابعة باستعمال أسلوب التهديد ، وهكذا يجد القارىء ظاهرة الوعظ منسابة فى ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه بقوالب متعددة ، وأساليب متنوعة ، مما يؤكد لكل ذى بصر وبصيرة أن الوعظ فى القرآن الكريم ذو أهمية بالغة فى تربية النفوس على الخير . وحملها على الحق، واستجابتها للهدى[3].

ولعل من أهم آثار أسلوب الموعظة تزكية النفوس وتطهيرها وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية ، وبتحقيق هذا الهدف يسمو المجتمع ويسعد ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء فلا يبغى أحد على أحد ولا يظلم أحد أحداً ولا يسرق أحد أحداً بل يعيش الجميع فى أمن وسلام ، ويأتمر الجميع بأمر الله تعالى بالمعروف والصلاح والبر والاحسان والعدل وهذه المعانى كلها جمعتها الآية الكريمة من سورة النحل وهى قول

---

(١) سبأ : ٤٥—٤٩ (٢) النساء : ٣٦

(٣) تربية الأولاد فى الإسلام حـ ٢ ص ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، عبد الله علوان .

الله عز وجل : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون»[١] .

قال تعالى : «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ، والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما»[٢] .

---

(١) النحل : ٩٠ (٢) الفرقان : ٦٣—٧٦

المبحث الثالث

٣ — التربية عن طريق القصة :

للقصة فى التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوى ، ذلك أنها تمتاز بميزات جعلت لها آثاراً نفسية وتربوية بليغة ، محكمة ، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية فى النفس ، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها ، والعبرة منها [١].

والإسلام يدرك هذا الميل الفطرى إلى القصة ، ويدرك مالها من تأثير ساحر على القلوب ، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم ، وهو يستخدم كل أنواع القصة . القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها ، والقصة الواقعية التى تعرض نموذجاً لحالة بشرية ، والقصة التمثيلية التى لا تمثل واقعة بذاتها ، ولكنها يمكن أن تقع فى أية لحظة من اللحظات وفى أى عصر من العصور .

فن النوع الأول كل قصص الأنبياء ، وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من جراء هذا التكذيب ، وهى قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر : موسى وفرعون . عيسى وبنى إسرائيل . صالح وثمود . هود وعاد . شعيب ومدين . لوط وقريته نوح وقومه . إبراهيم وإسماعيل : —

ومن النوع الثانى قصة بنى آدم : « واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق إذ قربا

---

(١) أصول التربية الإسلامية عبد الرحمن النحلاوى ص ٢٣٤

قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال: لأقتلنك قال: إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل أخيه، فقتله فأصبح من الخاسرين[1].

ومن النوع الأخير قصة صاحب الجنتين: «واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب، وحففناهما بنخل، وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا، وفجرنا خلالها نهرا، وكان له ثمر، فقال لصاحبه وهو يحاوره، أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال: ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا، قال له صاحبه وهو يحاوره: أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا؟ لكنا هو الله ربي، ولا أشرك بربي أحدا، ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله، لا قوة إلا بالله؟ إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا، أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها، ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا[2].

والقرآن يستخدم القصة لجميع أغراض وأنواع التربية والتوجيه

---

(١) المائدة: ٢٧ — ٣٠

(٢) الكهف: ٣٢ — ٤٣

التى يشملها منهجه التربوى : تربية الروح ، تربية العقل ، تربية الجسم ، والتوقيع على الخطوط المتقابلة فى النفس ، والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة ، فهى سجل حافل لجميع التوجيهات [١] .

أغراض القصة فى القرآن الكريم :—

ليست القصة فى القرآن الكريم عملا فنياً مطلقاً مجرداً من الأغراض التوجيهية ، إنما هى وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة إلى تحقيق أغراضه الدينية الربانية . فهى إحدى الوسائل لإبلاغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها واهم هذه الأغراض هى :

١ — من أغراض القصة القرآنية إثبات الوحى والرسالة ، وتحقيق القناعة بأن سيدنا محمدا ﷺ ، وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب ولا عرف عنه أنه جلس لأحد من أحبار اليهود والنصارى ، يتلو على قومه هذه القصص من كلام ربه ، وقد جاء بعضها فى دقة وإسهاب ، فلا يشك عاقل فى أنها وحى منزل من الله ، وأن محمدا ﷺ — رسول الله يبلغ رسالة ربه ، والقرآن ينص على هذا الغرض نصاً فى مقدمات بعض القصص أو فى أواخرها فقد جاء فى أول سورة يوسف : « إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » [٢] ، وجاء فى سورة هود بعد قصة نوح : تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين [٣] .

---

(١) منهج التربية الإسلاميه محمد قطب ص ١٩٣ ، ١٩٤ بتصرف .

(٢) يوسف : ٢ ، ٣ (٣) هود : ٤٩

٢ — ومن أغراض القصة القرآنية : بيان أن الدين كله من عند الله عز وجل .

٣ — وأن الله ينصر رسله والذين آمنوا ويرحمهم وينجيهم من المآذق والكروب ، من عهد آدم ونوح إلى عهد محمد ﷺ ، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة والله عز وجل رب الجميع وكثيراً ماوردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة فى سورة واحدة ، معروضة عرضاً سريعاً بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة ، كما فى سورة الأنبيـــاء ، حيث ورد ذكر : موسى وهارون ثم لمحة موجزة عن قصـــة إبراهيم ولوط ، وكيف نجاهما الله وأهلك قومهما ، وقصة نوح ، وجانب من أخبار داود وسليمان ، وماأنعم الله عليهما ، وأيوب نجاه الله من الضر ، وورد ذكر إسماعيل وإدريس وذى الكفل وكلهم من الصابرين الصالحين ، وذكر الله لنا : وذا النون إذ ذهب مغاضباً ، والتقمه الحوت « فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين »[١] قال تعالى : « فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين »[٢] ثم قال تعالى : « وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين »[٣] ويختم الله عز وجل هذه السلسلة من الأنبياء بخبر مريم وابنها عيسى عليهما السلام « والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين »[٤] ثم يخاطب الله تعالى مباشرة جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم بقوله : إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »[٥] »

---

(١) الأنبياء : ٨٧

(٢) الأنبياء : ٨٨

(٣) الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠

(٤) الأنبياء : ٩١

(٥) الأنبياء : ٩٢

فتبين بهذه الآيه الكريمة تقرير الغرض الأصيل من هذا الاستعراض الطويل وهو أن جميع الأنبياء يدينون دينا واحداً ويخضعون لرب واحد يعبدونه لا يشركون به وعندما نستعرض خبر كل نبى نجد أن الله عز وجل قد شد أزره ونصره ونجاه من الكرب الذى نزل به » أو المأزق الذى أوشك أن يقع فيه . كما نجى ذا النون واستجاب لزكريا، وكما نجى إبراهيم وقد أوشك أن يحترق بالنار ، وأنه سبحانه وتعالى دائماً ينعم على رسله والذين آمنوا إذا صبروا وصدقوا » كما أنعم على داود بالنصر ، وسليمان بالملك ، وفى هذا شد لأزر المؤمنين ، وتسلية لهم عما يلاقون من الهموم والمصائب ، وتثبيت لرسول الله ﷺ ومن تبعه من أمته » وتأثير فى نفوس من يدعوهم القرآن إلى الإيمان وأنهم إن لم يؤمنوا لا محالة هالكون وموعظة وذكرى للمؤمنين ، وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى فى قول الله عز وجل : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »[1] .

٤ — ومن أغراض القصة فى التربية الإسلامية : تنبيه أبناء آدم عليه السلام إلى خطر غواية الشيطان ، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم إلى أن تقوم الساعة ، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى » وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة فى النفس تدعو إلى الشر ولما كان هذا موضوعاً خالداً فقد تكررت قصة آدم فى مواضع شتى نذكر منها قول الله عز وجل فى سورة الأعراف : « قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ، يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ، يابنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من

---

(١) هود : ١٢٠

الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون إلى قوله : فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون »[1] . وهذا يدعو المربى إلى الالحاح على هذا الموضوع وتوجيه الطلاب إلى الحذر من غواية الشيطان فى كل مناسبة ملائمة .

٥ — ومن أغراض القصص التربوية: بيان قدرة الله عزوجل ، بيانا يثير انفعال الدهشة والخوف من الله جلت قدرته لتربية عاطفة الخشوع والخضوع والإنقياد ونحوها من العواطف الربانية ، كقصة الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه وقصة خلق آدم عليه السلام ، وقصة ابراهيم والطير الذى آب إليه بعد أن جعل على كل جبل جزءا منه : قال عـــز وجل : أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموت قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهم جزأ ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم »[2] .

---

(١) الأعراف : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠

(٢) البقرة : ٢٥٩ ، ٢٦٠ وانظر التصوير الفنى لسيد قطب ص ١١٧ ومابعدها بتصرف ط ثالثة دار المعارف بمصر .

المبحث الرابع

٤ — التربية عن طريق الأوامر والنواهى :

يعتبر هذا الأسلوب أسلوباً فذا فى التربية لا مثيل له ، وهو لا يقتصر على طريقة واحدة ، ولكنه يسلك طرقاً شتى فى إقناع العقل والتأثير على القلب .

والعمل بأوامر الله عز وجل والابتعاد عن نواهيه هما دعامتا الإنسان المؤمن ، الذى يملك بقوة إيمانه أن يغير ما بنفسه حتى يسير نحو ما يحبه الخالق سبحانه وتعالى له ، مقتدياً ومتأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد ورد الأمر والنهى فى القرآن الكريم فى أسلوب قوى صريح لا يحتمل التأويل ، وذلك فى آيات كثيرة تبين لنا فالقرآن الكريم من الفضل والسعة والشمول فى تربية أخلاق المؤمن ، حتى يكون أهلا لعبادة خالقه عز وجل بإخلاص وصدق ، ويكون أهلا لنعمة الله تبارك وتعالى عليه بلا حدود .

الأوامر : —

١ — إخلاص الدين لله عز وجل : — وهو على رأس ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الأوامر الداعية إلى أسس العبادة ومكارم الأخلاق قال عز وجل: « أنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ه ألا لله الدين الخالص »[1] .

---

(١) الزمر : ٢ ، ٣

٢ — إتباع الصراط المستقيم :

قال عز من قائل : «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون»[1] فالله عز وجل يأمر بإتباع طريقه الذى طرقه على لسان رسوله ﷺ وشرعه ونهايته الجنة ، وتشعبت منه طرق ، فمن سلك طريق الجادة نجا ، ومن خرج إلى الطرق الأخرى أفضت به إلى النار .

عن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه أنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا ، ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ، ثم قرأ هذه الآية .

٣ — التوبة لله عز وجل :

والتوبة هى بداية مقامات المؤمنين ، وباب الإستقامة للمنحرفين ، وأول طريق السالكين ، ومفتاح كل خير ، وهى الأرض الطيبة التى تثمر فيها أشجار التقوى والصلاح ، وأصل التوبة معناها الرجوع ، فإذا رجع الإنسان عن المعصية إلى الطاعة فقد تاب ، وتوبة الله عز وجل على الناس هى ردهم إلى رحاب رحمته ، وأركان التوبة الصحيحة ثلاثة :

١ — الندم على ما مضى .

٢ — الإمتناع عن المعصية .

٣ — نية السير فى الطاعة .

---

(١) الأنعام : ١٥٣

هذا وقد دعا المولى سبحانه وتعالى إلى التوبة فقال تقدست أسماؤه : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[١] .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً »[٢] .

وقد أوضح سبحانه وتعالى كرامة التائبين وجزاءهم فقال : عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار »[٣] .

وبين عز وجل أنه يغفر ذنوب من تاب ورجع إليه فقال : والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون »[٤] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول : « قال الله : يابن آدم : لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى . يا بنى آدم : لو أتيت بقــــراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وورد عن الرسول ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .

٤ — العمل الصالح :

قال عز وجل : « واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير »[٥] :

والعمل الصالح هو فعل كل ما أمر الله عز وجل به ورسوله ﷺ ، وكل ما يحقق نفعاً أو يدفع ضرراً عن الوطن والمواطنين ، والعمل الصالح

---

(١) النور : ٣١ (٢) التحريم : ٨
(٣) التحريم : ٨
(٤) آل عمران : ١٣٥ (٥) سبأ : ١١

ليس له مكان خاص ولا وقت خاص ، فعمل الزارع فى زراعته عمل صالح إن راقب فيه ربه وأخلص عمله لله عز وجل ، والعامل فى عمله ، والصانع فى مصنعه ، والتاجر فى متجره ، والموظف فى وظيفته ، والرئيس فى إدارته ، كل واحد من هؤلاء يعمل عملا صالحاً له ثوابه وأجره إن اتقى الله عز وجل فيه ، وأدى عمله بإتقان وأمانة لا تقربا لرئيس ولا نفعا لصديق أو قريب ، وهذه هى مظاهر العمل الصالح ، ويجب أن يكون معلوماً أن العمل لا يعد عملا صالحاً لمجرد قيام الشخص بأدائه على كيفيته التى وردت فى الشريعة الإسلامية ، بل لا بد أن يكون مصحوباً بنية إبتغاء وجه الله تعالى بهذا العمل ، بهذا يكون العمل عملا صالحاً ، ويكون صاحبه أهلا للثواب الذى وعد الله عز وجل به جزاء على هذا العمل .

أما إذا كانت نيته غير وجه الله عز وجل ، أو أشرك مع الله غيره فى هذا العمل ، فعمله غير صالح ولا يستحق الأجر الذى وعد الله به يقول عز وجل . « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً »[1] فنية الشخص هى التى تقيم العمل ، وهى التى تكسب العمل وصف الصلاح والخير ، وتؤهل فاعله لما وعد الله عز وجل به من الثواب والأجر ، وهى كذلك التى تسلب العمل وصف الصلاح ، وتلقى عليه وصفاً آخر ذميماً لا يستحق صاحبه ثواباً بل عقاباً ، فالنية هى التى تشكل العمل . وهى التى تحدد وجهة السلوك الإنسانى ، وتميز خبيثه من طيبه ، لذا قال الرسول ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » ، فكل عمل يفقد النية الطيبة يفقد روحه وقيمته ، وكل عمل تتوجه النية الطيبة يخلد ذكره ويطيب أثره ، ويبقى فى سجل الخالدين ثناؤه وحمده لذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « وإنما لكل امرىء ما نوى »[2] .

---

(١) الكهف : ١١٠ (٢) رياض الصالحين ص ١٢

٥ — الصفح من مكارم الأخلاق :

قال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم »(١) .

ويقول سبحانه وتعالى مخاطباً الرسول ﷺ : « إن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل »(٢) .

والرسول ﷺ ضرب أحسن الأمثال فى الصفح الجميل مع قريش التى أخرجته من مكة المكرمة والتى آذته وهمت بقتله، ثم حاربته وقتلت أحبابه وصفوة أصحابه ، فقد قال لهم بعد أن انتصر عليهم والجميع من حوله : « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم » فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : أقول لكم ما قاله أخى يوسف لإخوته « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وسيرة الرسول ﷺ ، تفيض إشراقاً بمواقف الصفح والعفو قال له أعرابى يوماً من الأيام وهو يقسم الغنائم : اعدل، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فلم يزد فى جوابه أن قال له : ويحك فمن يعدل إن لم أعدل ؟ خبت وخسرت إن لم أعدل، ونهى أصحابه أن يقتلوه حين هم بعضهم بذلك.

وتتوالى توجيهات الرسول ﷺ لتأكيد هذا الخلق ، فيروى عن عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات ؟قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك »(٣) .

---

(١) التغابن : ١٤ (٢) الحجر : ٨٥

(٣) الطبرانى .

٦ — العـدل :

قال عز من قائل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون »[١] .

فالله جل جلاله أمر بالعدل أمراً عاماً ، لأنه أساس من أسس شرعه الذي أوحى به إلى رسوله — ﷺ — ليكون هداية إلى الناس كافة ، أبيضهم وأسودهم، أحمرهم وأصفرهم حاكمهم ومحكومهم سيدهم وعبدهم، وجعل المولى عز وجل تحقيق العدل بين الناس من وظائف رسوله ،عليه الصلاة والسلام فقال تعالى : وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم »[٢] ، والناس جميعا أمام العدل الإسلامي سواء ، لا فرق بين هذا وذاك ، والعدل المأمور به لا تؤثر فيه قرابة أو نسب : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا »[٣] ، كما لا تؤثر فيه العداوة والبغضاء قال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله »[٤] ، وكما يكون العدل في الحكم يكون في القول : « وإذا قلتم فأعدلوا »[٥] وعليه يقوم كيان الأسرة قال تعالى: « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة »[٦] وهو أساس التعامل بين الناس : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل »[٧] .

---

(١) النحل ٩٠
(٢) الشورى ١٥
(٣) النساء ١٣٥
(٤) المائدة ٨
(٥) الأنعام ١٥٢
(٦) النساء ٣
(٧) البقرة ٢٨٢

٧ — التعاون على البر والتقوى :

قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى »[1] ، فهذا أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى ، أى ليعن بعضكم بعضا ، وتحاثوا على ما أمر الله عز وجل به ، واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عز وجل عنه، وامتنعوا منه ، وهذا موافق لما روى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « الدال على الخير كفاعله » .

يقول الماوردى فى هذا الشأن: ندب الله عز وجل إلى التعاون « بالبر وقرنه بالتقوى له ، لأن فى التقوى رضا الله عز وجل ، وفى البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته .

٨ — الأمانة :

قال جل فى علاه : « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى إئتمن أمانته وليتق الله ربه »[2] أى : إذا إئتمن بعضكم بعضا فلا بأس ألا تكتبوا ولا تشهدوا ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « على اليد ما أخذت حتى تؤديه » .

وقال عز وجل : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »[3] ، ومظهر هذه الصفة إنما يكون فى الاختلاط والتعامل مع الغير ، ونحن نعلم أن الإنسان مهما كان شأنه لا يستطيع أن يعيش حياته منفردا ، بل لابد له ممن يؤازره فيها ، فهو على الدوام فى حاجة إلى غيره ، يخالطه ويعامله

---

(١) المائدة ٢ (٢) البقرة ٢٨٣

(٣) النساء ٥٨

وتنشأ له معه علاقات إستكمالا لاحتياجات حياته، فللعبد مع الله عز وجل علاقة، وللعبد مع أخيه الإنسان علاقة، أما علاقة العبد بالمولى جلت قدرته، فحاجته الماسة له فى كل ماهو ضرورى له فى حياته، لأن الله جل فى علاه مصدر كل شىء وخالق كل شىء « ألا له الخلق والأمر »[1]، وقد أمد الله جل جلاله الإنسان بأمرين هامين.

١ — نعمه العديدة التى أسبغها عليه فى ذاته وفى محيطه الذى يعيشه : وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »[2]، فعين الإنسان نعمة الله عز وجل عليه وهى أمانة عنده، والأذن نعمة الله عز وجل عليه وهى أمانة عنده، واللسان نعمة الله عز وجل عليه وهو أمانة عنده، وكل أعضائه ومفاصل عظامه نعم الله عز وجل عليه وهى أمانة عنده كذلك، والماء والهواء نعمتان من نعم المولى تبارك وتعالى على الإنسان، والأرض وما فيها، والسماء وما فيها مسخرة للإنسان « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه »[3] من نعم الله عز وجل عليه، وهى كذلك أمانة عنده إستحفظ الله عز وجل الإنسان على كل هذه النعم لينتفع بها فى حدود الطاعة والمنفعة، ويستعملها فيما خلقت لأجله، فالعين ينظر بها فى صنع الله، واللسان ينطق به فيما يرضى الله، وبذا يكون الإنسان أميناً، وإذا شذواستعمل هذه النعم فيما يغضب الله عز وجل يكون خائنا للمولى عز وجل.

٢ — التكاليف المنوه عنها فى قول الله جل فى علاه : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا »[4].

---

(١) الأعراف ٥٤ (٢) إبراهيم ٣٤

(٣) الجاثية ١٢ (٤) الأحزاب ٧٢

قال العلماء : الأمانة هنا هى التكاليف الشرعية وهى كل ما كلفنا الله عز وجل به من الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والكيل والميزان والودائع .

فالعقيدة الدينية أمانة ، والصلاة أمانة ، والزكاة أمانة ، والصوم أمانة والحج أمانة ، وغير ذلك كثير ، فمن أدى أماناته التى إئتمنه الله عز وجل عليها فهو أمين ، وإلا كان خائنا ، والله عز وجل يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »[1].

وخيانة المولى عز وجل تكون بترك ما أمر به وفعل ما نهى عنه ، وخيانة الرسول ، ﷺ تكون بإهمال تعاليمه وترك سنته ، وخيانة الأمانات تكون بالتفريط فيما استحفظ عليه، وعدم رده لأهله ، أو رده إليهم معيباً أو منقوصاً .

ولقد إمتدح الله جل جلاله المؤمنين بصفة الأمانة ، فقال تقدست أسماؤه : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون »[2] ، فالمؤمن الحق من اؤتمن على مال فحفظه ، أو على سر فكتمه ، أو على عرض فصانه ، أو على حق فوفاه ، والمؤمن الحق من يرعى أمانة ربه عز وجل فلا يهمل أمره ولا يرتكب نهيه ، ولا يغير قوله ، ولا يبدل شرعه ، ولا شك فى أن من كانت هذه صفته فهو عن نفسه راض ، والناس عنه راضون والله عز وجل يشمله برحمته وإحسانه .

---

(١) الأنفال ٢٨

(٢) المؤمنون ٨

٩ ـ الإحسان :ـ

قال عز وجل : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »[1] ، وقد شدد القرآن الكريم فى ذكر الإحسان للوالدين فى آيات كثيرة ، لدرجة أن الله تبارك وتعالى قد قرن الإحسان للوالدين بعبادته ، يقول جلت قدرته: « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »[2]. ويقول عز وجل : « ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً »[3] . والإحسان إلى الوالدين يجب أن يكون تاماً ، وكاملا ، وذلك ببرهما وحفظهما ، وامتثال أوامرهما فى غير معصية الله عز وجل .

ويمتد الإحسان فى الإسلام إلى الجيران فيقول عز وجل : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل »[4] .

والمراد بالجار ذى القربى هو الذى بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة ، وأما الصاحب بالجنب فقيل : إنها المرأة، وفى الإحسان للجيران حكمة عظيمة فى تنظيم التضامن الاجتماعى، ويعضده

---

(١) البقرة : ١٩٥
(٢) الإسراء : ٢٣، ٢٤
(٣) لقمان : ١٤ ، ١٥
(٤) النساء : ٣٦

قول الرسول ، ﷺ : « لا يقبل الله صدقة عبد وفى أهله محتاج »، «خير الأصحاب عند الله خيرهم لأصحابه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجيرانه » .

وأكد المولى سبحانه وتعالى على الإحسان إلى ذى القربى ، فحث عليه فى آيات كثيرة ، وجعلهم مقدمين فى كل آية ذكر بها الإحسان إلى الناس بعد الوالدين ، قال عز وجل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ....»[1] « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب »[2] .

كما حث على الإحسان لغير المسلمين فقال عز وجل : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »[3] .

كما حث على الإحسان إلى اليتيم ورعايته وتربيته فقال تبارك وتعالى: « وقولوا لهم قولا معروفا »[4] آمراً الأوصياء بحسن معاملة اليتيم حتى تحل عقده ، ويحسن شأنه ، ويشعر بكرامته ووجوده فتكمل شخصيته ، ويكون إنساناً بناء فى مجتمعه ، ثم إن الأمر لا يقف عند حد القول، بل يتعداه إلى العمل ، والمعاملة الكريمة ، والرعاية والتوجيه ، وتعريفه بماله وأنه صائر إليه ، ليعد نفسه له ، وتشتد عنايته به ، على أن ذلك لا يفهم منه التدليل ، وتركه يفعل ما يشاء أو الإنفاق عليه بسخاء يفسد خلقه ، ويعوده التبذير فى حياته .

ولعل التعبير بقوله عز وجل: « قولا معروفاً » يشعر بذلك، فالمعروف:

---

(١) النحل : ٩٠ (٢) البقرة : ١٧٧
(٣) الممتحنة : ٨ (٤) النساء : ٥

هو ما تعرفه النفوس الكريمة وتألفه ، ويقابله المنكر : وهو ما تنكره النفوس وتلفظه ، فما يعــرفه أهل اللياقة والتربية ، والتجربة السليمة فى معاملة أبنائهم من إيناس وتوجيه ، ومراقبة وتأديب ، دون ما ميل إلى ناحية الإفراط أو التفريط ، هو ما يطلبه القرآن الكريم فى تربية أبناء الأمة الإسلامية تربية صحيحة .

النواهى :—

١ — الإشراك بالله : —

قال عز وجل ناهياً عن ذلك : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئاً »(١) لأن الإشراك به عز وجل من أكبر المحرمات وأعظمها إثماً وأشدها فساداً ، فعبادة الله تبارك وتعالى وحده هى أساس التشريعات من لدن سيدنا نوح عليه السلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول تقدست أسماؤه : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً »(٢) .

وقال عز وجل : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً »(٣) .

وقال تبارك وتعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه »(٤) .

---

(١) الأنعام : ١٥١ (٢) النساء : ١١٦

(٣) النساء : ١١٦ (٤) الأسراء : ٢٣

٢ — إتباع الشيطان :

قال عز وجل محذراً من ذلك: «يا أيها الذين آمنو لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكى من يشاء، والله سميع عليم»[1]،نداء من الله عز وجل للمؤمنين بعدم إتباع خطوات الشيطان حتى لا يسلكوا مسالكه ، ويقتفوا أثره،لأن الشيطان هو العدو الأكبر للإنسان حيث عاهد الله تبارك وتعالى على اغوائه والمكربه ، ومن يخضع لتـأثيره فإن أمره ينتهى إلى ارتكاب الفحشاء والمنكر ، لأنه لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر ، يزين لفريسته طريقهما فلا تلبث أن تقع فيه ، وللشيطان مسالك وطرق لا يفطن لها إلا من عصمه مولاه وحفظه من مكره وأذاه.

وقال جل جلاله فى آية أخرى : «ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون»[2] .

٣ — إرتكاب المعاصى :

قال عز وجل ناهياً عن ذلك : ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[3] ، لأن الاستحياء من الله عز وجل أولى من الإستحياء من الناس ، ولذلك قال الرسول ﷺ « إستحيوا من الله حق الحياء» قالوا :

---

(١) النور : ١ (٢) البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩
(٣) الأنعام : ١٥١

إنا لنستحى من الله والحمد لله قال: ليس كذلك ولكن الإستحياء من الله حق الحياء أو تحفظ الرأس وماوعى، والبطن وماحوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى من فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[1] .

ومن هنا يجب على الإنسان أن يترك ظاهر الإثم وباطنه والمعاصى سرها وعلانيتها، فالمولى جلت قدرته لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، قال تبارك وتعالى: «يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور»[2] .

٤ — الظلم :

قال جل جلاله ناهياً عن ذلك فى الحديث القدسى الذى يرويه الرسول ﷺ «ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...» أى يظلم لا بعضكم بعضاً فلا يبغى الغنى على الفقير ولا يطغى القوى على الضعيف ولا يظلم السيد العبد ولا الحاكم المحكوم، لأن الله عز وجل حرم ذلك كله وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...»[3] رواه مسلم .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه»[4] متفق عليه .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) غافر : ١٩
(٣) رياض الصالحين . ص ١١٤ ، ١١٥
(٤) رياض الصالحين ص ١١٧

٥ — الخيانة :

قال جل جلاله فى النهى عن الخيانة : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »[١] .

وقال جلت حكمته : « إن الله لا يحب كل خوان كفور »[٢] « إن الله لا يحب الخائنين »[٣] « إن الله لا يحب من كان خواناً أثيما »[٤] وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ، ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »[٥] متفق عليه .

وقد حذر الحبيب المصطفى ، ﷺ من الخيانة فى الشورى فقال : « من أشار إلى أخيه بأمر يعلم أن الرشـــد فى غيره فقد خانه » كما حذر الرسول ، ﷺ من الغش فى المعاملات والخيانة فيها فقال : « من غشنا فليس منا المكر والخديعة والخيانة فى النار» .

٦ — الكذب وشهادة الزور :

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ، بل هو من أقبح الرذائل التى يمكن أن يوصف بها إنسان ، ولهذا حذر منه المولى عز وجل فقال: « ويحلفون على الكذب وهم يعلمون . أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون »[٦] ، كما حذر منه الرسول ﷺ فقال : إياكم والكذب

(١) الأنفال : ٢٧
(٢) الحج : ٣٨
(٣) الأنفال : ٥٨
(٤) النساء : ١٠٧
(٥) رياض الصالحين ص ١١٠
(٦) المجادلة : ١٤ ، ١٥

فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »[١]، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا أؤتمنتم فلا تخونوا »[٢] .

وشهادة الزور فرع من رذيلة الكذب، وهى عمل إجرامى قال عز وجل محذراً منها : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور »[٣] ، لأنها تعود بالضرر على الأفراد والجماعات ، وتسلبهم حقوقهم ، وتوقعهم فى المهالك ، وكذلك اعتبرها المصطفى ، ﷺ من الكبائر والموبقات فى قوله : « إن من أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وقول الزور» ، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس ، فما زال يكررها حتى قال الصحابة : ليته سكت .

وفى الخبر أنه ﷺ قام خطيباً فقال : « عدلت شهادة الزور الشرك بالله » ، قالها مرتين أو ثلاثاً ، يعنى أنها قد جمعت مع عبادة الوثن فى النهى عنها ومن هنا كانت شهادة الزور محرمة لما لها من خطر على المجتمع فى الإفساد بين الناس .

٧ — الغش :

قال عز وجل فى النهى عن الغش: « ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك

---

(١) متفق عليه .
(٢) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٢٥ ، ٢٦
(٣) الحج : ٣٠

أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين »[1] فالمكاييل والموازين والمقاييس ، وغير ذلك من سبل التقدير بين الناس وإلا بانة فى معاملاتهم ، والفصل بين الحق والباطل ،لها شأن خطير فى إشاعة الثقة بين أفراد المجتمع وتنظيم صلاتهم على أساس العدالة والتفاهم ،وتبادل المنافع واحقاق الحقوق ، وأخطر ما يكون الغش والخداع والطمع فى الكيل والميزان، وسائر أنواع التقدير والفصل مما يعود على الغاش بربح مسروق لا يرى ضرره ولا يقدر عواقبه ، ولا يقوم على هذه الرذيلة إلا كل إنسان ميت الضمير ، زين له جشعه الثراء عن طريق حرام .

روى أن الرسول ﷺ خرج ذات يوم إلى السوق ، فرأى الناس يتساومون ويتبايعون ، فاستمع إليهم . ورأى صور تبايعهم ، وأصناف المبيعات ، فقال : « يامعشر التجار » فرفعوا أعناقهم ، ومدوا أبصارهم استجابة لندائه،وإنصاتاً لما يقول ، وانتظاراً لما يلقى عليهم من إرشاد وتعليم ، فقـــال : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق» ، أي : اتقى سخط الله عز وجل وغضبه فلم يظلم أحداً من عباد الله عز وجل ، ولم يحنث فى يمينه إذا حلف على سلعة ، وصدق فى قوله فلم يكذب ، ولم يغش فى سلعته بيعاً وشراء .

٨ — النجوى بالإثم والعدوان :

قال جل جلاله فى النهى عن ذلك : « يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان »[2] ، ففى هذه الآية الكريمة نهى من المولى عز وجل المؤمنين عن أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود

---

(١) المطففون : ١ — ٦

(٢) المجادلة : ٩

بالإثم والعدوان، وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله، ﷺ قال: «إذا كان ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الواحد».

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله، ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه»، فبين هذا الحديث غاية المنع، وهى أن يجد الثالث من يتحدث معه، وفى الحديث أيضاً التنبيه على التعليل بقوله: «من أجل أن يحزنه»، أى: يقع فى نفسه ما يحزن لأجله، وذلك بأن يقدر فى نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنه لم يروه أهلا ليشركوه فى حديثهم، إلى غير ذلك من خبائث الشيطان وأحاديث النفس[1].

٩ — الرياء والنفاق:

قال جل جلاله فى النهى عن الرياء والنفاق: «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر»[2]، أى تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى الناس بها، فاظهر لهم أنه يريد وجه الله عز وجل، وقصده مدح الناس له وشهرته بينهم بالصفات الحميدة ليشكر بين الناس أو يقال: إنه كريم. ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية. مع قطع نظره عن معاملة المولى جل جلاله وابتغاء مرضاته وانتظاراً لجزيل ثوابه.

والرياء نقيض الإخلاص. وهو الرغبة فى إظهار الحسنات وأخفاء السيئات، واستجداء الثناء والتقدير من الناس، حيث يشعر المرائى إذا حصل على ذلك بنوع من الإسترخاء والراحة النفسية المؤقتة والرياء يحبط

---

(١) تفسير القرطبي ج١٧ ص٢٩٥ بتصرف.

(٢) البقرة: ٢٦٤

الأعمال الصالحة عند الله تبارك وتعالى إحباطاً كاملا ويعود على صاحبه بالوبال والخسران المبين .

وقال تبارك وتعالى فى شأن المنافقين : —

إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً [١] ، أى : فى بيوت فى الدرك الأسفل لها أبواب تطبق عليهم ، فتوقد النار من تحتهم ومن فوقهم ، وليس لهم نصير ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من العذاب الأليم ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال عندما سئل عن المنافقين : « يجعلون فى توابيت من نار ، فتطبق عليهم فى أسفل درك من النار » .

وقال عز وجل فى صفة ظواهر المنافقين : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا [٢] ، أى لا إخلاص لهم ، ولهذا يتخلفون عن الصلاة التى لا يرون غالباً فيها ، كصلاة العشاء وقت العتمة ، وصلاة الفجر وقت الغلس ، كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : قال : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون مافيهما لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ، ثم انطلق برجال معهم حزم من حطب ، إلى قوم لايشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » .

فالنفاق هو التناقض فى التصرفات بين مايخفيه القلب ويظهره اللسان ، وبين مايعتقده المرء ويقوله للناس ، بقصد تحقيق أغراض معينة ، كتحصيل مال ، أو تسهيل معاملة ، والحصول على جاه أو نفوذ أو الترقى فى منصب ، وما إلى غير ذلك من أهداف .

والنفاق يكون بوسائل مختلفة ، أبرزها أغداق المدح والثناء على

---

(١) النساء : ١٤٥ : (٢) النساء : ١٤٢ .

شخص أو جهة أو جماعة بغير استحقاق ، ومن صفات المنافق سرعة التلون والتقلب وفق الأهواء والاتجاهات .

والمنافق هو من يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر ، وهو مخادع مخاتل وكثيراً ما يكون ضرره على الأفراد والجماعات أشد من ضرر الأعداء .

قال عز وجل : « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا [١] » .

والمنافق جبان ، يحسب كل صيحة عليه ، وكل تهمة موجهة إليه ، كما أنه فى حالة دائمة من القلق النفسى ، وعدم الشعور بالطمأنينة . لأنه يخشى كل الخشية ظهور حقيقته أمام الناس ، وعندئذ تفسد مخططاته وتسقط أهدافه ، والنفاق صفة لازمة لضعاف النفوس وفاقدى الكرامة .

قال تبارك وتعالى : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون [٢] » .

وقال عز وجل مبيناً حالهم : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ، وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون [٣] » .

---

(١) النساء : ١٤٢ ، ١٤٣ . (٢) المنافقون : ٤ .
(٣) البقرة : ٨ — ١٢ .

الفصل الثالث

خصائص التربية الإسلامية

لقد أقام الإسلام نظاماً فريداً لتربية أبنائه على أساس تكوينهم يحفظ عليهم كيانهم ، ويحقق التوازن الكامل بين طاقاتهم بحيث لاتدمر فيه طاقة من الطاقات بل تعمل كلها فى انسجام تام بلاطغيان ولا ضعف، ولا غرابة فى ذلك فإن الله جلت قدرته الذى خلق الإنسان هو الذى أتى بهذا النظام الذى شمل حياة الإنسان كما شمل التربية بجميع خصائصها فهو بمن خلق أعلم وبحاجاتهم أعرف « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير[1] » .

ومن هنا جاء هذا المنهج شاملا لكل الخصائص التى تتفق مع حاجات الإنسان فى أطوار حياته .

إن الإسلام قدم هذه التربية للإنسان على أساس معرفته به عقيدة، وأخلاقاً ، ورأى فيه أنه لايصلح لتعمير الأرض ولا لنفع نفسه وبنى جنسه ، إلا إذا استقام عقيدة وخلقاً ، وفى هذا يقول المولى تبارك وتعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ، ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم[2] » ، ثم يقول تباركت أسماؤه

---

(١) الملك : ١٤ .

(٢) فصلت : ٣٠ — ٣٢ .

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين[1] » .

ويقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : قل آمنت بالله ثم استقم[2] ، ولهذا كانت أصول الدين وأركان الإسلام هي :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا[3] .

المبحث الأول

وحدانية المعبود :

وأول خصائص التربية الإسلامية الإيمان بالله وحده لاشريك له ، فالإسلام يبدأ إصلاح الإنسان وتكوينه تربوياً بتعريفه بخالقه ورازقه فيدعو كل فرد إلى الإيمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه في جواب من سأله عن الإيمان والإسلام والإحسان « إن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، قال يارسول الله ، ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال يارسول الله . ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[4] » .

---

(١) فصلت : ٣٣ .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٦

(٣،٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ،

وعن طريق هذا الإيمان ينشأ إدراك حقيقة هذا الوجود وأنه من صنع الله ، وبذلك يستطيع الإنسان أن يعرف طبيعة الكون الذى يعيش فيه ويتعامل معه على هـــذا الأساس ويمضى مع الوجود كله إلى خالق الوجود فى طاعة وحب وسلام ، والإيمـان بالله وحده لاشريك له هو حجر الزاوية فى التربية الإسلامية ، لأنه يبعث فى النفس الطمأنينة والثقة بالطريق السليم وعدم الحيرة أو الخوف أو اليأس وفى الوقت نفسه يجعل المسلم متجرداً من الهوى والغرض الشخصى وتحقيق المغانم الخاصة ، ذلك لأن القلب البشرى يصبح متعلقاً بهدف أبعد من ذاته وهو الدعوة إلى دين الله لتحقيق خلافة الله فى الأرض[١] .

وقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى النظر والتفكر فيما حولنا من بديع صنعه ، وفى أنفسنا ، لأن طالب الحق إذا تأمل كتاب الكون وتدبر فى خلق الإنسان استقر يقينه بالإيمان بوجود الخالق عز وجل وبوحدانيته وعموم قدرته وكمال حكمته ، واطمأنت نفسه بعظمة الخالق ، اقرأ قوله تعالى : «إن فى خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون»[٢] .

وقوله جل فى علاه : «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هـــذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار»[٣] .

---

(١) أضواء على التربية فى الإسلام / على القاضى ص ٥٦

(٢) البقرة : ١٦٤

(٣) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١

والإيمان بالله عز وجل يقتضى الإيمان بأنه المتصرف فى ملكه كيف يشاء « فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »(١) .

والإيمان بالله تعالى يقتضى الإيمان بأنه المتصرف فى ملكه دون مشاركة من أحد وهو ما يسمى بتوحيد الألوهية ، قال تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »(٢) .

وقال عز من قائل : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلا »(٣) ، « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »(٤) .

والإيمان بالله يستلزم أن يكون وحده حاكما فأمره الأمر ونهيه النهى لأن ترك أمر الله إلى أمر سواه أو فعل ما نهى عنه بأمر سواه نوع من العبادة لسواه وذلك يكون الشرك ، يروى الترمذى عن عدى بن حاتم أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ قوله تعالى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، فقال له : إنا لسنا نعبدهم ، فقال : أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت بلى ، قال: فتلك عبادتهم إياهم(٥) .

فعلى المسلم أن يعتقد ويؤمن بذلك ، وينزه المولى عز وجل عن كل نقص وشائبة ، ويثبت له الكمال المطلق ، حتى أن الإسلام حرم على المسلم الحلف بغير الله تعالى : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت

---

(١) يس : ٨٢ (٢) الأنبياء : ٢٢
(٣) الإسراء : ٤٢
(٤) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣
(٥) دراسات فى الدعوة الإسلامية د/ عبد القادر سيد ص ٦٤

والنذر لغير الله ، كما حرم تعظيم الإنسان أو اطراءه ، ليكون التوجه والتعظيم والحلف والنذر كله لله تعالى .

ووحدانية المعبود تقتضى الإيمان بالملائكة ، وهم عباد الله المكرمون المطيعون « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »(١) .

والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل بالأشكال الحسنة ، فنهم حملة العرش « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »(٢) ، ومنهم رسل الوحى كسيدنا جبريل عليه السلام ، ومنهم الكتبة « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »(٣) ومنهم الحفظة الموكلون بقبض الأرواح والموكلون بالجنة والنار ، والإيمان بالملائكة عن طريق السمع فقط ، لأنه من الأمور الغيبية التى استأثر الله بعلمها ، فعلى المسلم أن يصدق بوجود الملائكة ويؤمن بهم

ووحدانية المعبود تستلزم الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله عز وجل على رسله عليهم الصلاة والسلام ، وهذه الكتب مشتملة على جميع الأوامر والنواهى ، والكفر بها ليس من الإيمان .

قال عز من قائل : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً »(٤) .

كما تستلزم أيضا الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهم الذين اصطفاهم الله عز وجل وأرسلهم إلى الناس ليخرجوهم من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور الحق ، والهداية ، ويرسموا لهم طريق الخير والسعادة

---

(١) التحريم : ٦ (٢) الحاقة : ١٧
(٣) ق : ١٨ (٤) النساء : ١٣٦

فالواجب على المسلم أن يؤمن برسل الله تعالى إجمالا وتفصيلا لا يفرق بين رسول ورسول قال جلت قدرته : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »[1] .

والإيمان بالأنبياء من مستلزمات وحدانية المعبود قال تعالى فى محكم التنزيل: « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »[2] .

فالمسلم يؤمن بجميع أنبياء الله ويحترمهم ويجلهم ، فمن كفر بنبى أو سب أحداً منهم ممن نص عليهم القرآن فهو غير مؤمن بما أنزل على محمد ﷺ قال عزوجل : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً »[3] .

والإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب وجنة ونار وثواب وعقاب من مقتضيات وحدانية المعبود جل جلاله ، واليوم الآخر هو يوم القيامة ، والاعتقاد باليوم الآخر والإيمان بما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال ركن من أركان الدين ،

---

(١) البقرة : ٢٨٥

(٢) البقرة : ١٣٦

(٣) النساء ، ١٥٠ ، ١٥١ ، وانظر الأنبياء فى القرآن الكريم عفيف طبارة ص ١٨ ، ١٩

ولا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا آمن بيوم القيامة ومايحدث فيه ، لذلك قال ﷺ عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الإيمان : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره »[1] .

إن أركان الإيمان فى نظر الإسلام كل لايتجزأ ، وكل من كفر بواحد منها ، أو بجزئية من لوازمها مما ثبت فى القرآن صراحة أو فى السنة ، فقد حبط عمله ولايقبل منه إيمانه بباقى الأركان ، ذلك لأنها سلسلة مترابطة الحلقات ، ولأن الإسلام كله بناء فكرى متشابك الأجزاء يتهدم أو يختل إذا انهدم أحد أركانه ، ومن هنا فإن المتتبع لآيات القرآن التى تتحدث عن الإيمان ، يرى أن الحجر الأساس لنظام الإسلام كله هو الإيمان ، وبالتالى فإن التربية الإسلامية التى تعنى بتنشئة الإنسان المسلم المنطبع بطابع الإسلام العامل بكل تعاليمه ، يجب أن تبنى على أساس الإيمان بكل أركان الدين إيماناً واضحاً متميزاً وكل تربية تهمل ركنا من أركان الإيمان تصبح تربية ناقصة شوهاء لافائدة منها .

فالله تعالى إنما جعل القرآن كله هدى للذين يؤمنون بالغيب ، والغيب فى القرآن يطلق على كل ما يجب الإيمان به مما غاب عن الحس ، ومعنى ذلك أن من لايؤمن بالغيب ، لايستطيع أن يهتدى بالقرآن ، ولا يقبل الله منه إسلامه ، وهذا من البداهة . إذ كيف يعمل بتعاليم القرآن من لايؤمن بمن أنزل القرآن ، وكيف يؤمن بالقرآن من لايؤمن بالملائكة ، وعلى رأسهم جبريل عليه السلام الذى تنزل بالقرآن على قلب محمد ﷺ .

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب باب الإيمان .

من ذلك تعرف أن أركان الايمان سلسلة لا ينفك بعضها عن بعض ، ولا تصلح حلقة منها دون سائر الحلقات ، وأنها كل لا يتجزأ ولا يجوز إنكار أى جزء منها[1] .

فأول أركان الاسلام أو أول خطوة فيه والاتجاه نحو اعتناقه هى الاعتراف بالله ربا والشهادة له بالألوهية والايمان بملائكته وكتبه ورسله أجمعين .

وفضيلة هذا الركن ، وأثره فى عقيدة الانسان وشخصيته وحياته ، أنه يرتفع به إلى درجة التكريم ، وإلى درجة موالاة الله والشعور به ومراقبته فى كل حين ، والوصول إلى هذا الاحساس دائماً : « وهو معكم أينما كنتم »[2] .

فالمؤمن يشعر بهذه المعية فيكيف بها أعماله وغير المؤمن لا يشعر بها ، فسيرتد إلى أسفل سافلين وهذا هو قوله تعالى :

« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... »[3] .

---

(١) أصول التربية الإسلامية عبد الرحمن النحلاوى ص ٧٧ ، ٧٨ بتصرف

(٢) الحديد : ٤ (٣) التين : ٤ — ٦

المبحث الثانى

التوازن :

من خصائص التربية الإسلاميه التوازن وهو القاعدة الكبرى فى المنهج الإسلامى ، والإسلام يرى أن الغلو كالتفريط يخل بالتوازن ، وهو يعترف بقيمة الفرد ويحمله مسئولية فردية قال تعالى : « وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً »(1) والمجتمع يتكون من أفراد ذوى إهتمامات وذوى شعور إجتماعى وهم مسئولون عن المجتمع الذى يعيشون فيه ، وعن عمارة الكون وإحقاق الحق وإهمال بعض أفراد المجتمع قد يؤدى إلى هلاك الجميع كما بين الحديث فعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »(2) .

فالإسلام لا يسحق الفرد ولا يهمل وجوده كما أنه لا يتطرف فى الفردية على حساب الجماعة ، فالفرد شخصية مستقله ولكنه عضو فى جماعة متحدة فى الهدف وفى العمل وترتبط فى النهاية بالله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ... »(3).

والتوازن معنى واسع شامل يشمل كل نشاط الإنسان ، توازن

---

(1) مريم : 95 (2) صحيح البخارى
(3) المائدة : 2

بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح ، توازن بين ماديات الانسان ومعنوياته ، توازن بين ضروراته وأشواقه ، توازن بين الحياة فى الواقع والحياة فى الخيال ، توازن بين الإيمان بالواقـــع المحسوس والإيمان بالغيب الذى لا تدركه الحواس ، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية ، توازن فى النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، توازن فى كل شىء فى الحياة « وكذلك جعلناكم أمة وسطا[1] . وسطا فى كل شىء ، متوازنين فى كل ما تقومون به من نشاط هذا التوازن هو فى الحقيقة سمة الكون كله الذى تتوازن فيه كل الأفلاك وكل الطاقات ، ولا تختل منها واحدة فى الكون على إتساعه ، وهو كذلك سمة الإنسان الصالح الذى يفسره بشروط الخلافة عن الله فى الأرض ويسير حسب منهج الله[2].

والمعنى فى الآية الكريمة السابقة يتسع لكل معانى الوسط ، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه المادى والحسى[3] ، إنه اعتدال وتوازن وقصد فى أفعال الإنسان وسلوكه . بل فى عباداته ومعاملاته أيضاً ، فالمسلم الخاضع للتربية الإسلامية حين يعمل للآخرة لا يترك الدنيا ويهملها ، بل عليه أن يعمل لها أيضاً لأن الدنيا مزرعة للآخرة .

قال عز من قائل : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ... »[4].

والمسلم إذا أراد الوصول إلى المستوى الأعلى فى درجة إسلامه ، فلا ينبغى أن يكون ذلك على حساب شىء آخر ، فالإسلام ما قصد بتشريعاته الإرهاق والتعذيب وإنما قصد التربية والتهذيب ، إن التربية

---

(١) البقرة : ١٤٣

(٢) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ص ٢٧ ، ٢٨

(٣) فى ظلال القرآن ج ١ ص ١٣١ (٤) القصص : ٧٧

الإسلامية تنأى بأحكامها وتشريعاتها أن تكون حرماناً من الطيبات والمتع الحلال ، لذا نجد آيات القرآن الكريم تنص على أن تحريم ما أحل الله نوع من الاعتداء المنهى عنه فى مفهوم الإسلام .

قال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون »(١).

وفى السنة النبوية الشريفة :

عن أنس رضى الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ، ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى »(٢) .

ومن التوازن أن يكون الإنسان وسطا فى كل أعماله ، فالإسلام ينهى عن الإسراف قال عز وجل : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين »(٣) وينهى عن التبذير . قال جل فى علاه : « ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً »(٤) وينهى عن التقتير قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً »(٥) .

---

(١) المائدة : ٨٧ ، ٨٨ (٢) رياض الصالحين : ٨٢
(٣) الأعراف : ٣١ (٤) الاسراء : ٢٦ ، ٢٧ (٥) الإسراء : ٢٩

لقد حدد الإسلام المقياس الصحيح والمنهج القويم للناس نحو هذه الضرورة وهى الأكل والشرب ، ألا وهو منهج التوازن والتوسط والاعتدال .

ويقول الرسول ﷺ فى تأكيد هذا الأمر : «إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت»[1].

ويقول صلوات الله وسلامه عليه أيضاً : «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة»[2] .

والتربية الإسلامية تأخذ الانسان كما هو فتعنى به من الناحية الجسمية ومن الناحية الروحية ومن الناحية العقلية حتى يكون صالحاً لأداء رسالته فى الأرض لأنه خليفة الله وبذلك يكون صالحاً للإتصال بالله تعالى وصالحاً للتعرف على أسرار الكون وصالحاً لعمارة الأرض ، واستخدام هذه الطاقات كلها يحدث توازنا فى الانسان[3] .

من أجل ذلك يحرص الاسلام على التوازن ويجعله هدفا أساسياً فى مناهجه ، ويبذل فيه كل ما فى الطاقة من جهد ، يبدأ فيه مع الطفل من مولده ، ويسير فيه مع الإنسان فى جميع مراحل نموه ، ولا يتركه فى لحظة واحدة دون معاونة أو توجيه[4] .

والإسلام يبيح للمسلم أن يأخذ نفسه بشىء من الشدة ، فيحيا حياة الشظف ، ويعيش عيشة الكفاف ، إذا كان فى موقع المسئولية ، التى هى موقع الاقتداء والتأسى ، ولنا فى الرسول ﷺ وسيرته العطرة وفى حياة

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢١٩
(٢) صحيح البخارى جـ ٧ ص ١٨٢
(٣) الأعراف : ٣١ (٤) منهج التربية الإسلامية ص ٢٩

الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين المثل والقدوة فى حياتهم ومعاشهم وتقشفهم وزهدهم فى الدنيا ابتغاء مـــرضاة الله تعالى والفوز بنعيمه وجنانه .

المبحث الثالث

المساواة :

ومن خصائص التربية الإسلامية أنها ترد البشرية كلها إلى أصل واحد فلا عصبية للغة ولا لجنس ولا للون ، وهى بذلك تزيل الحواجز النفسية والجغرافية ، ثم إن رسالة الإسلام للبشرية كلها والله سبحانه وتعالى ليس بينه وبين عباده صلة إلا التقوى . ولقد أعجب بهذا المؤرخ الانجليزى توماس كارليل الأستاذ بجامعة كابروج الذى قال : وفى الإسلام صفة أراها أشرف الصفات وأعظمها وهى المساواة بين الناس وهذا يدل على صدق النظرة وصواب الرأى[1] .

يقول الله عز وجل: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»[2] .

ويقول عز من قائل : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء»[3] .

ويؤكد هذا المعنى الرسول ﷺ فيقول: «الناس سواسية كأسنان المشط الواحد ، لافضل لعربى على اعجمى إلا بالتقوى» .

ويقول: «إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم لأن الناس من آدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم» .

(١) أضواء على التربية فى الإسلام ص ٦١ ، ٦٢
(٢) الحجرات ١٣ (٣) النساء ١

فالتقوى وحدها هى نصاب التفاضل بين الناس فى الشريعة الإسلامية ولكنه تفاضل حدود معينة تفاضل بين الناس عند ربهم فقط فأكرمهم عند الله أتقاهم .

ولقد حكم القرآن بهذه المساواة فى الحقوق والواجبات، ووضع أصولها وقواعدها ولم يفرق فى نصوصها بين الرؤساء والمرءوسين ولا بين الملوك والسوقة ، ولا بين ممثلى الدولة السياسيين والرعايا العاديين ، ولا بين ممثلى الشعب وأفراده ، ولا بين الأغنياء والفقراء ، ولا بين السادة والعبيد .

لقد قرر القرآن الكريم وحدة الجنس البشرى فى المنشأ والمصير ، وفى الحقوق والواجبات أمام الله والقانون ، فلا قيود ولا استثناءات وإنما مساواة تامة بين الأفراد وبين الجماعات ، وبين الأجناس ، وبين الحاكمين والمحكومين ، ومساواة تامة بين الرؤساء والمرؤوسين، لا فضل لأحد على أحد ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لعربى على أعجمى ، وقد خطب النبى ﷺ الناس فى حجة الوداع فقال : « يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله اتقاكم »[1] ، وقال فى الحديث الآخر : «الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب»[2] .

إن القيمة الإنسانية واحدة للجميع ، فالعربى إنسان والعجمى إنسان والأبيض إنسان والأسود إنسان ، والحاكم إنسان والمحكوم إنسان والغنى إنسان والفقير إنسان ، ورب العمل إنسان والعامل إنسان، والرجل إنسان والمرأة إنسان ، والحر إنسان والعبد إنسان ، وما دام الكل إنسانا ، فهم إذن سواسية كأسنان المشط الواحد. ومن هنا اعتبر الإسلام

---

(١) الترغيب ج ٤ ص ٢٣ (٢) أبو داود ج٢ ص ٦٢٤

الاعتداء على نفس أى إنسان اعتداء على الإنسانية كلها ، كما جعل إنقاذ أى نفس إنقاذاً للجميع ، هـذا ما كرره القرآن بوضوح : « إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً[1] .

والرسول ﷺ وهو القدوة والأسوة لنا جميعاً قد طبق المساواة على نفسه فقد دخل عليه أعرابى فأخذته هيبة الرسول ﷺ فقال له صلوات الله وسلامه عليه « هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد فى مكة » .

ومن ذلك ما حدث فى عهد الرسول ﷺ بشأن فاطمة المخزومية التى كانت قد وجب عليها الحد لسرقتها قطيفة وحلياً . فقد جاء أسامة بن زيد وكان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ يشفع فيها ويرجوا أن تغفر لها زلتها ولا يقام عليها الحد مبرراً شفاعته بأنها تنتمى إلى بطن من أشرف بطون قريش وهو بطن بنى مخزوم رهط خالد بن الوليد وبأن إقامة الحد عليها سيجلب العار على أهلها وينال من كرامتهم ومكانتهم بين الناس ، فأنكر الرسول ﷺ شفاعة أسامة ، على حبه له ، وأنتهره قائلا : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فى الناس فقال : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وفى عهود الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وجدت صور كثيرة لتطبيق مبدأ المساواة بين جميع الناس ، دون تفريق أو تمييز ونكتفى بذكر قصة تدل على ذلك وهى أن ولداً لعمرو بن العاص رضى الله عنه

---

(١) الخصائص العامة للإسلام د / يوسف القرضاوى ص ٨٩ ، ٩٠ والآية ٣٢ من سورة المائدة

نازع شاباً من مصر فى ميدان السباق فى عهد ولاية أبيه على مصر، فضرب المصرى بالسوط، فأقسم المصرى ليشكونه إلى عمر فقال له اذهب فلن ينالنى ضرر من شكواك فأنا ابن الأكرمين، ورفع الفتى شكواه إلى الخليفة بالحجاز، فأرسل الخليفة إلى مصر يستدعى الوالى وإبنه فقال الشاكى مخاطباً عمر يا أمير المؤمنين، إن هذا (وأشار إلى أبن عمرو) ضربنى ظلما، ولما توعدته بأن أشكوه إليك، قال اذهب فأنا ابن الأكرمين فنظر عمر رضى الله عنه إلى عمرو وقال بم تعبد تم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ وبعد أن تبين له صدق المصرى فى دعواه توجه إليه وقال له. اضرب بهذه الدرة ابن الأكرمين كما ضربك».

إن الإسلام نادى بالمساواة نظريا، وطبقها عمليا، وأقام عليها مجتمعاً حطم كل الفوارق التى تقيم الحواجز بين الناس. من عنصرية ولونية وإقليمية وطبقية، أما الحضارة الغربية فقد أعلنت المساواة مبدءاً وفكرة ولكنها عجزت عن تحقيقها فى مجتمعاتها، ولا زالت مشكلة التمييز العنصرى حية قائمة نقرأ عنها ونسمع فى جنوب أفريقيا وفى الولايات المتحدة الأمريكية، التى فرقت بين الأبيض والأسود حتى فى مقام التعبد لله، فللبيض كنائسهم المستقلة كما أن للسود كنائسهم الخاصة وقد حدث أن أخطأ رجل أسود فدخل كنيسة من كنائس البيض فى يوم وكان القسيس يعظ ويتحدث، فلمح هذا الوجه الغريب بين الحضور، فلم يملك إلا أن أخرج ورقة مطوية أرسلها إليه، فلما فتحها الرجل الأسود وجد فيها : عنوان كنيسة السود فى شارع كذا.

فليوازن المنصف بين هذا كله وبين ما جاء به الإسلام، ليعرف الفرق بين الظلمات والنور وبين الحق والباطل وبين العدل والظلم[1].

(١) الخصائص العامة للاسلام د/ يوسف القرضاوى ص ٩٦، ٩٧ بتصرف

الفصل الرابع

أهداف التربية الإسلامية

المبحث الأول

إخلاص العبودية لله عزوجل :—

تهدف التربية الإسلامية إلى إخلاص العبودية لله والخضوع له ،وقد صرح القرآن الكريم بهذا الهدف فقال عز وجل : «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»(1) .

وإذا كانت هذه مهمة الإنسان فى الحياة ، فإن تربيته يجب أن تكون لها نفس الهدف ، وإخلاص العبودية لله يكون قولا وفعلا ، ظاهراً وباطناً ، بأن يتحرر الإنسان من عبادة غير الله عز وجل ، وأن يتوجه بعبادته لله جل فى علاه ويخصه بمختلف الوان العبادة دون شريك معه قال عز من قائل :«إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبدالله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص...»(2) .

ويقول الرسول ﷺ ، فيما يرويه الإمام البخارى رحمه الله تعالى : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه» . إن هجرة الإنسان بعمله إلى الله عز وجل ، أى إرادته بعمله وجه الله يجعل من عمله عبادة يؤجر عليها ويثاب ، ومن هنا كان العمل المقبول عند اللهعز وجل ما كان خالصاً لوجهه الكريم .

---

(1) الذاريات ٥٦　　　(2) الزمر ٣-٢

وهكذا نرى أن هدف التربية الإسلامية وهو إخلاص العبودية لله قد أحاط بالعملية التربوية من كل جوانبها ، الفكرية والجسمية والإجتماعية والفردية والروحية وذلك لأنه هدف رباني، والهدف الرباني لا يأتي إلا .

١ — كاملا يستمد كماله من الكمال الإلهي ، فهو في كل المجالات ، يبعدنا عن النقائص ، ويوجهنا نحو الفضائل وخير الإنسانية أفراداً وجماعات .

٢ — شاملا يكتنف الحياة من جميع جوانبها ، والنفس الإنسانية من كل نواحيها .

٣ — عاماً لكل الناس فهو إنساني وليس خاصاً بصالح أمة معينة أو قوم بخصوصهم .

٤ — صالحاً للبقاء والخلود على مر الزمن وهو يستمد خلوده من أنه جاء من عند الله .

٥ — موافقاً للفطرة الإنسانية ، وفطرة الإنسان لا تتغير على مر الزمن ، من حيث هو فرد ، ومن حيث هو عضو في جماعة ، ومن حيث هو بشر من دم ولحم وله نوازعه وشهواته ودوافعه الغريزية،ومن حيث هو إنسان له عقله وإرادته وقدرته على الخير والشر ، فهدف التربية الإسلامية يربي كل هذه النوازع والدوافع والفطرة ويوجهها كلها نحو مثلها الأعلى ، نحو عبادة الله الذي خلق الإنسان وإليه مرجعه ومآله :

٦ — وهو هدف خصب تتولد عنه الثمرات الطيبة وليس عقيماً لأنه لا يجافي الفطرة،ولا يصد طاقات الإنسان بل يحرضها على الإنتاج الخير، ويدفعها إليه دفعاً ، ويستوفي منها كل خير تستطيع تقديمه للفرد والجماعة والإنسانية .

٧ — وهو هدف واضح يفهمه ويعقله جميع البشر ، لأنه مناسب للفطرة النفسية والعقلية ، يعتمد على الإحساس والوعى ، يقبله للربى والطالب جميعاً .

٨ — وهو هدف يؤدى إلى التوازن والتوافق ، وعدم التعارض بين جوانب الحياة والنفس ، بل يوفق بينها جميعا فى غاية واحدة مثمرة ذات فروع تضم هذه الجوانب كلها .

٩ — وهو هدف واقعى ميسر التطبيق يؤثر فى سلوك جميع الناس بمختلف ثقافاتهم وأعمارهم .

١٠ — وهو هدف مرن ، يستطيع مسايرة الظروف والأحوال على إختلافها ، كما أنه يساير الإنسان فى مختلف العصور والأقطار مهما تعددت سبل عيشه وأساليب حياته من تجارة وزراعة وصناعة(١) .

وقد جعل الله عز وجل طريق القرب إليه فى أداء الفرائض ، وجعل طريق حبه للعبد فى الإكثار من النوافل ، يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيما يرويه عن رب العزة جل فى علاه ، إن الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما إفترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ، ولئن إستعاذنى لأعيذنه »(٢) .

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها عبدالرحمن النحلاوى ص ١٢٤ ، ١٢٦ بتصرف .

(٢) رواه الإمام البخارى .

المبحث الثانى

تهذيب السلوك الإنسانى

كما تهدف[1] التربية الإسلامية إلى تهذيب السلوك الإنسانى وجعله يسير على المنهج الإسلامى ففيما يختص بالإنسان مع نفسه عليه أن يحفظ جسمه ونفسه وأن يكون مستقيما فى كل أموره وذلك مع الإيمان بالله وأداء الواجبات كاملة ، قال تعالى : «... ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»[2] وذلك بالبعد عن المحرمات والمنكرات والمعاصى وكل ما فيه ضرر بالجسم ، وقال عز وجل : ... «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما[3]» وذلك بالبعد عن كل ما يضر النفس أو يوردها موارد الهلاك والقتل ، وقال سبحانه وتعالى : «إن الذين قالوا ربنا الله ثم إستقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون»[4] ؛ وعن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام [قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال : «قل آمنت بالله ثم إستقم]»[5] رواه مسلم .

إن الإستقامة تعنى الإيمان الكامل بالله وحده والإذعان التام لمشيئته ، والخضوع الأكيد لجلاله ، والإحتكام الحقيقى فى كل صغيرة وكبيرة إلى دينه والتطبيق المطلق لشريعته ، وصوغ الحياة العامة والخاصة جميعاً وفق ما يأمر به وينهى عنه ، وسرعة التخلص من كل ما لا يتفق مع دين الله من عقيدة وفكر وخلق وسلوك ؛ إن الإستقامة على دين الله ومنهجه

---

(١) أنظر : أضواء على التربية فى الإسلام ص ٤٣ بتصرف .

(٢) البقرة ١٩٥   (٣) النساء ٢٩

(٤) الأحقاف ١٣ ، ١٤   (٥) رياض الصالحين ص ٦٠

ضرورة لازمة ما تمسكت بها الأمة وحرصت عليها فى كل موقع ومع كل عمل إلا كان ذلك مجدها وسعادتها وشرفها وذكرها فى الدنيا والآخرة.

ثم تهدف التربية الإسلامية إلى تربية المسلم على أساس البعد عن الانفعالات الضارة بالجسم والعقل والتى تثير العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع ، فعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)[1] متفق عليه .

وفى المقابل حلت الإنفعالات الطيبة ، التى توصل إلى إسعاد الفرد وإسعاد المجتمع كالعفو عن المسيء والعطف ومعاملة الناس بالحسنى محل الإنفعالات الضارة قال عز من قائل : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة أدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)[2] .

وفيما يختص بواجب الإنسان مع غيره طلب الإسلام من المسلم أداءه ومن ذلك حق الولد على الوالد وحق الوالد على الولد وحق كل فرد على غيره .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[3] .

(١) رياض الصالحين ٩٧٣ (٢) فصلت ٣٤ ، ٣٥

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٥

فالمسئولية عامة ، والرجل مسئول ، والمرأة مسئولة ، والإبن مسئول ، والإبنة مسئولة ، والحاكم مسئول ، والمحكوم مسئول كل فى حدوده ، وإذا كان الإحساس بالمسئولية نابعاً من ضمير الإنسان وشعوره بأن الله عز وجل يراقبه ويحاسبه فلا بد أن يحرص على أداء ما عليه من أعمال وواجبات فهو يوقن قولا وعملا أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولقد ربى النبي ﷺ المسلم ، على الخشية من الله فهو دائما يتمثل بقول الله جل فى علاه : وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[1] وفيما يختص بواجب الإنسان مع كل المخلوقات ، نجد أن الإسلام أمر بالرفق والرحمة بالحيوان ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : بينما رجل يمشى بطريق اشتد به العطش فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغنى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، وتنكر على من يقسو عليه وفى ذلك يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه « دخلت إمرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت فلا هى أطعمتها وسقتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض »[1] .

إن المقياس الصحيح للأعمال الصالحة فى الإسلام : النية ولذلك يقول الرسول ﷺ « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأحسابكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، والإيمان الصحيح متى استقر فى القلب ظهرت آثاره فى السلوك ، وهدف الإسلام الواضح فى التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطنى بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية وتحويل هذه الحركة إلى عادات ثابتة[2] .

---

(١) رواه الإمام البخارى .

(٢) أضواء على التربية فى الإسلام ص ٤٤ بتصرف .

المبحث الثالث

تكوين الإنسان الصالح

تهدف التربية الإسلامية إلى تكوين الإنسان الصالح ، الذى يقوم برسالته على الوجه الأكمل ، والتى تمكنه من تحقيق خلافته لله فى الأرض طبقا لتعاليم الله ، الذى استخلف الإنسان لعمارة هذا الكون بينما تقوم التربية الغربية بتربية المواطن الصالح ، الذى يصلح لأداء واجبه فى مجتمعه فقط ، كما تهدف إلى تربية المسلم التربية ، التى تجعله قادراً على التحكم فى نفسه وضبط تصرفاته والإيمان بالمثل الإسلامية العليا ، التى يحيا لها ويموت فى سبيلها جاعلا شعاره قول الله عز وجل: «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»[1].

فهدف التربية الإسلامية هدف شامل ، لأنه يسعى إلى إيجاد الإنسان الصالح فى أى زمان ومكان وفى أى بيئة وجنس ولون ، وليس لمجرد إيجاد المواطن الصالح الذى يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والبيئات والأجناس ، لأن الإسلام دين عالمى جاء للناس جميعاً وخاطب الناس جميعاً عربيهم وأعجميهم أسودهم وأبيضهم أحمرهم وأصفرهم حاكمهم ومحكومهم سيدهم وعبدهم قويهم وضعيفهم غنيهم وفقيرهم ، صاحب الحسب والنسب ومن لا حسب له ولا نسب فقال عز من قائل : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»[2] .

---

(١) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ وانظر أضواء على التربية فى الإسلام لعلى القاضى ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٢) الحجرات : ١٣

وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد »[1] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[2] .

فالإسلام ينادى بالمساواة بين الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم ومشاربهم ومذاهبهم وأجناسهم وبيئاتهم ، كما يأمر بالعدل أيضاً بين الناس جميعاً قال سبحانه وتعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »[3] ، كما ينادى أن يكون أسلوب التعامل قائم على المودة والتسامح واحتساب الأجر عند الله عز وجل قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »[4] .

إن كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ يفيضان بالتربية ، التى تهدف إلى تكوين الإنسان الصالح والشخصية السليمة ، التى تسير على منهج الله عز وجل من ذلك :

١ — الإخاء : — قال عز من قائل : — « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »[4] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره

(١، ٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٣٢ .

(٣) المائدة : ٨ — (٤) فصلت : ٣٤

(٥) الحجرات : ١٠

التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب إمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[١] .

٢ — التعاون : قال تعالى: « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب »[٢] ، وعن أبي عبد الرحمن زيد ابن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا » متفق عليه[٣] .

٣ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قال عز وجل : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[٤] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إياكم والجلوس في الطرقات . فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . فقال رسول الله ﷺ : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » متفق عليه [٥] .

٤ — العدل : — قال جل في علاه : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وقال : « كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير

(١) صحيح الإمام مسلم حـ ٢ ص ٤٢٤
(٢) المائدة : ٢
(٣) رياض الصالحين : ص ١٠٠
(٤) آل عمران : ١٠٤ (٥) رياض الصالحين : ١٠٦
(٦) الأنعام : ١٥٢

بما تعملون »[١] وقال عز وجل : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ... »[٢] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا »[٣] .

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يهدفان من وراء هذا النوع من التربية الرفيعة إلى رفع النفس الإنسانية لمستوى ووضع يجدران بها والبعد بها عن وضع لا يليق بها .

والله الموفق والمعين

المؤلف

---

(١) المائدة : ٨ (٢) النساء : ٥٨

(٣) صحيح مسلم : جـ ٢ ص ١٢٤

المراجع

١ ـ القرآن الكريم كتاب رب العالمين .

٢ ـ إرشاد الفحول ، للشوكانى .

٣ ـ الإسلام عقيدة وشريعة ، للشيخ محمود شلتوت .

٤ ـ الإسلام فى عصر العلم ، د/ محمد أحمد الغمراوى

٥ ـ الأحكام ، للآمدى

٦ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوى

٧ ـ الإسلام رسالة الإصلاح والحرية ، د/ محمد عبد المنعم خفاجى .

٨ ـ الإسلام وحقوق الإنسان د / محمد عبد المنعم خفاجى

٩ ـ أضواء على التربية فى الإسلام ، على القاضى

١٠ ـ أسس التربية وعلم النفس ، أحمد يوسف

١١ ـ أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبد الرحمن النحلاوى

١٢ ـ الأنبياء فى القرآن الكريم . عفيف عبد الفتاح طبارة

١٣ ـ تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير

١٤ ـ الترغيب والترهيب ، للمنذرى

١٥ ـ التربية الإسلامية وفلاسفتها ، د/ محمد عطية الأبراشى

١٦ ـ تاريخ العالم الإسلامى ، محمود زيادة

١٧ ـ التربية فى الإسلام ، د/ أحمد فؤاد الأهوانى

١٨ — تربية الأولاد فى الإسلام ، عبد الله علوان
١٩ — التصوير الفنى فى القرآن ، للشهيد سيد قطب
٢٠ — الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبى
٢١ — الخصائص العامة للإسلام ، د/ يوسف القرضاوى
٢٢ — الدين عند الله، الشيخ عبد الرحيم فوده
٢٣ — دراسات فى الدعوة الإسلامية ، د/ عبد القادر سيد عبد الرءوف
٢٤ — رياض الصالحين ، للامام النووى
٢٥ — روح التربية الإسلامية ، د/ محمد عطية الأبراشى
٢٦ — ركائز الإيمان ، للشيخ محمد الغزالى
٢٧ — سنن أبى داود ، للامام أبى داود
٢٨ — السنة الإسلامية ، د/ رءوف شلبى
٢٩ — صحيح البخارى ، للامام البخارى
٣٠ — صحيح مسلم ، للإمام مسلم
٣١ — الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادى
٣٢ — فيض القدير ، للمناوى
٣٣ — فقه السنة ، السيد سابق
٣٤ — فى ظلال القرآن ، للشهيد سيد قطب
٣٥ — القاموس المحيط
٣٦ — معنى قول الإمام المطلبى ، السبكى
٣٧ — المفردات فى غريب القرآن ، للأصفهانى
٣٨ — معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية

٣٩ — مختار الصحاح ، للرازى

٤٠ — المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية

٤١ — المصباح المنير ، للرافعى

٤٢ — مسند الإمام أحمد بن حنبل ، للإمام أحمد بن حنبل

٤٣ — منهج التربية الإسلاميه . محمد قطب

٤٤ — المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام،الشيخ محمد أبو زهرة

٤٥ — المجتمع الإنسانى ، د/ محمد عبد المنعم نور

٤٦ — اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، د/ محمد فؤاد عبد الباقى

٤٧ — هداية المرشدين ، للشيخ على محفوظ

٤٨ — نقض المنطق ، لابن تيمية

٤٩ — نشأة التربية الإسلامية ، د/ سعيد إسماعيل على

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
ــ مفهوم التربية فى اللغة	٧
ــ مفهوم التربية عند علماء الإسلام	٧
ــ معنى التربيــة	٩
ــ التربية الإسلامية	١٠
ــ منهج التربية الإسلامية	١٣
الفصل الأول : ــ مصادر التربية الإسلامية	
المبحث الأول : ــ القرآن الكريم	١٦
« الثانى : ــ السنة النبوية الشريفة	٢٥
الفصل الثانى : ــ أساليب التربية الإسلامية	٣٥
المبحث الأول : ــ القــدوة	٣٧
« الثانى : ــ الموعظــة	٤٢
« الثالث : القصة	٤٨
« الرابع : الأوامر والنواهى	٥٤
الفصل الثالث : ــ خصائص التربية الإسلامية	٧٤
المبحث الأول : ــ وحدانية المعبود	٧٥
« الثانى : ــ التوازن	٨٢
« الثالث : المساواة	٨٦

الفهرس